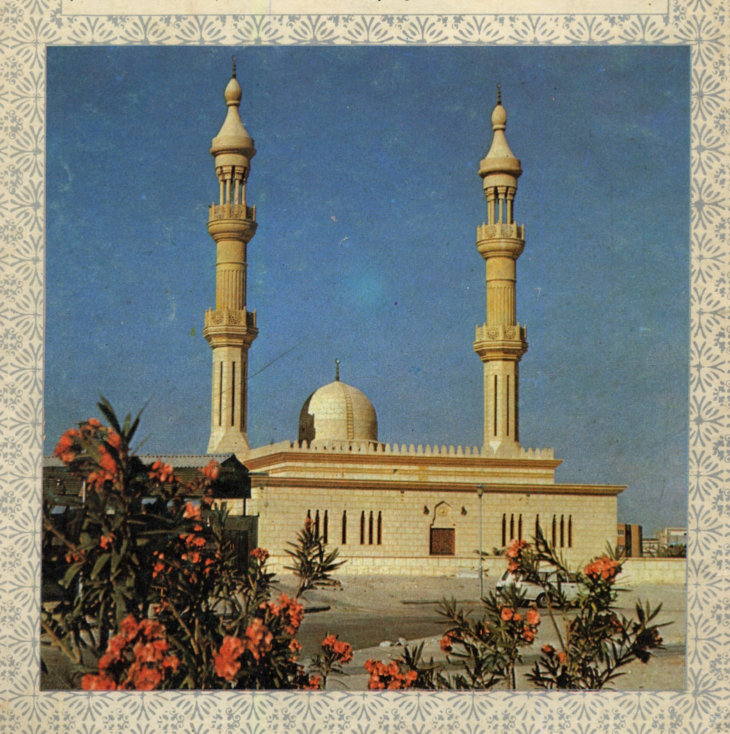
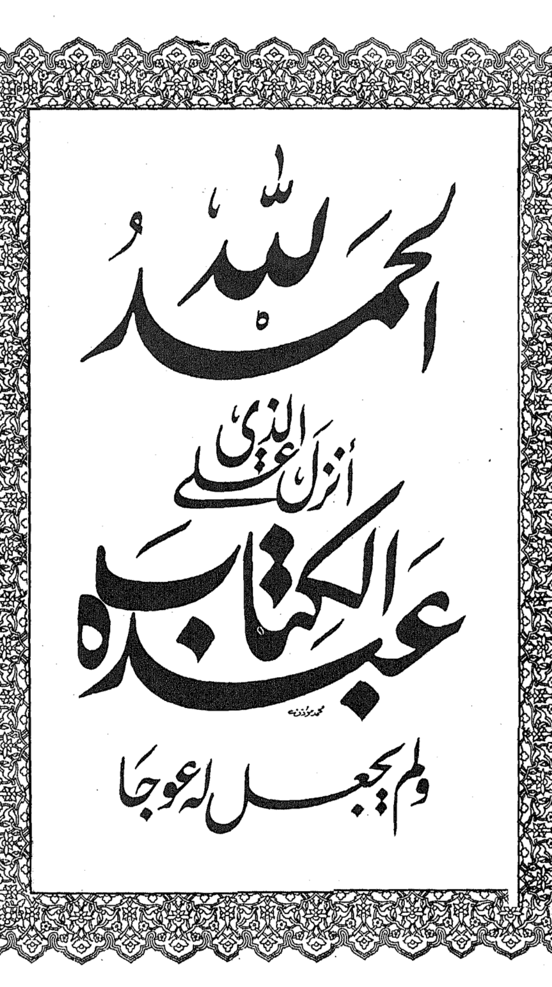
الوعي الإسلامي

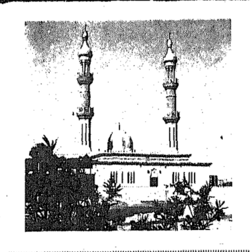
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ــ العدد ١٠٢ ــ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ ــ ١ يوليو ١٩٧٣ م




الحمد لله
الذي أنزل على
عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا

مسجد
عبد اللطيف العثمان



أحد المساجد الحديثة فى الكويت ويقع فى ضاحية عبد الله السالم ويمتاز بمنارتيه العاليتين . تتوسطهما قبة مربعة من الداخل وهو مزود بمكيفات الهواء ومبردات الماء ، وبلغت تكاليفه سبعين ألف دينار .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠٢)

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ

(١) يوليو (تموز) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

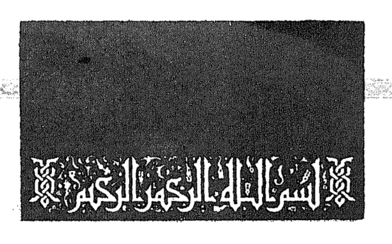
الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨





حاضرنا هو واقعنا الذى نعيش فيه بكل ابعاده وجوانبه وزواياه ..

هو الصورة العامة للحياة التى تنتظمنا جميعا شعوبا وقبائل ، حضرا وبدوا ، أكثرية وأقلية .. هو الحقيقة المجردة التى تعبر عن مظاهر التقدم ومظاهر التخلف فى حياتنا ..

هو اساليب الحكم ومناهج الثقافة ، وموارد الثروة ووسائل الاستثمار والمناخ الاجتماعى الذى يسودنا ويتحكم فينا .. هو القوى المادية والقوى المعنوية التى تحركنا من الداخل وتسيرنا فى الخارج ، ونمارس نشاطنا تحت دفعها وتأثيرها .

حاضر المسلمين هو وضعهم الدولى والعلاقات التى تربطهم بالأمم من صداقة وعداوة وعدم انحياز .. هو دينهم ومعتقداتهم وقيمهم ، ومدى قربهم من هذا كله وحرصهم عليه ، أو بعدهم عنه وتفريطهم فيه .. هو تصورهم لهذا الحاضر واحساسهم به ومقدار رضاهم عنه او استيائهم منه .

هذه الأبعاد والمفاهيم كلها بعض معطيات « الحاضر » ومحتواه كما تفصح عنه اللغة ... أما الماضى فهو الموجود الذى طوته الليالى والايام ولم يبق منه الا العبرة والذكرى ، وأما المستقبل فهو القادم الذى استكن فى ضمير الغيب ، وتعلقت به آمال الجادين والهازلين .

محنـة :

وحاضر المسلمين يعتبر محنة من أشق المحن واقساها ، ويعد مرحلـة من اخطر مراحل حياتهم وادقها ، وعليها يتوقف مصيرهم ، ويتحدد مستقبـل اجيالهم . والمسلمون حقا يعيشون فى هذه المحنة بين الأمم غرباء غير مكرمين يلفهم الظلام ، وتنبحهم الكلاب ويتجهم لهم اللئام ، وتغلق فى وجوههم الأبواب ويغرى بهم الصغار ، ويضحك عليهم الكبار .

كل مسلم غيور على دينه يعيش الآن على ظهر الأرض يشعر بأنه مضيع وأن شخصيته المتميزة التى تحددها عقيدته لا وجـود لها ، وان نظرته الـى ماضيه الحافل وتاريخه المجيد ومكانته السابقة بين الأمم العريقة ، تزيد مـن مرارة احساسه بألم الضياع وفقدان الشخصية ، فليس هو شامة بين الناس كما كان من قبل ، وليست أمته خير الأمم كما كانت فى الماضى ، وحيثما تلفت الى امته الكبرى وجد حقا ضائعا وبشرا مضيما وأرضا مغتصبة وجماعـات مشردة وكيانا ممزقا ، ومؤامرات متقنة غنية متعددة تستهدف القضـاء على دينه ، وتبغى السيطرة على أمته أرضا وبشرا وعقلا وفكرا وموارد ومقدرات .

فتـن :

والمسلمون يقيمون على ضيـم الحاضر ، ويتجرعونـه بكل ما فيه من مرارة ، تتهاوى على رؤسهم وظهورهم مطارق أحداثه الدامية .. فمع مغيب كل شمس نازلة فادحة ، وفى فحمة كل ليل فتنة عارمة .. فى الفلبين مذبحة ، وفى ارتيريا مقصلة ، وفى الهند أسارى مكبلون ، وفى افريقيا اكثرية تحولت فى جو الحقد والعداوة للاسلام الى أقليات مضطهدة ، وفى أوروبا فئـات مؤمنة مضيعة وشباب منا مفتون ، والمطابع فى بلاد الجليد والضباب والالحاد تغرق الأسواق بكتب تحقر الاسلام وتتهجم على القـرآن ، وتطعن فى نبـى التوحيد ، وتفترى الكذب على الله وعلى الناس .

وفى قلب العروبة ومشرق الاسلام دعوات هدامة تتسلل الى العقـول المضللة والقلوب الواهنة فتملأ فراغها بالكفر والالحاد ، وتغريها بالتمرد على الدين والانسلاخ من العقيدة ، وتكره لها الايمـان ، وتحبـب لها الفسـوق والعصيان ، ومما يزيد من فداحة هذا الخطر أن حملـة هذه الدعوات ممـن ينتسبون الى الاسلام اسما ، فهم يطعنون الاسلام فى صميمه ، وينكـرون اصوله واركانه ، ويمارون فيما أوحى الله وانزله ، ويجادلون فيما أحل وحرم مما لا يقبل تأويلا ولا مناقشة .

« فهذا ينكر أصل الايمان
وهذا يمارى فى حقيقة النبوات وامكان الوحى
وهذا يتساءل لم تحرم الخمر مع فائدتها الصحية
وهذا يرى الوقاع الجنسى ما دام بتراضى الطرفين لا شىء فيه

وهذا يمضي فوائد الربا ويسخر من حظرها
وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للأوقات .
وهذا يرفض أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث
وهذا يحظر تعدد الزوجات ويفخر بتعدد الخليلات
وهذا يسهر حتى الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة والغناء الماجن ، ويزعجه اذان الفجر » .

وماذا نحصى من أبواب الفتن ، وهي كثيرة مفتحة تحمل سمومها وسائل الاعلام الحديثة ، فتنقلها صباح مساء . ليل نهار . تنقلها الى الأسماع والأبصار . الى المدائن والقرى الى القصور والأكواخ ، الى الطريق والبيت والمدرسة والنادى . إلى المتدين المحافظ فتزلزل دينه وتخلخل قيمه الى المخدوع المضلل ، فتمد في ضلاله وتعبث بأخلاقه وتعيث في سلوكه . الى المرأة الفاضلة الوقورة ، فتزهدها في وقارها وتغريها بالتحلل من فضائلها وتشعرها بغربتها ووحشتها وانعزالها عن المجتمع الذى تعيش فيه . . الى المرأة المتكشفة ، فتغريها بمزيد من التكشف ، وتدفعها الى العرى والتجرد . الى الشاب والشابة فتلهب سعار الغرائز الدنيا فيهما ، وتهيج في دمائهما اشباع النزوات في غير مبالاة بدين ولا شرف ولا حفاظ على أخلاق وقيم .

لقد استغلت وسائل الاعلام الحديثة — على قوة فعاليتها وشدة نفوذها وتأثيرها وجاذبيتها اسوأ استغلال فشوهت معاني الحرية ، ودفعت بها الى مهاوى الفوضى والانحلال ، ومسخت معانى الفنون وعرضتها في أثواب الاغراء والابتذال ، وحولت برامج الترفيه والتسلية الى ما يقتل النفس ويذيب الرجولة ، فانجح الأغانى أكثرها ميوعة وأشدها اثارة ، وانجح الأفلام احفلها بأكوام اللحوم النسائية في المخادع وعلى موائد المقامرين والمخمورين ، وأكثر الصحف والمجلات رواجا التى ترخص الرجس وتشيع النجس وتنشر قصص الخيانات الزوجية وأخبار الشذوذ والأعمال الفاضحة ، وتعرض صور الكاسيات العاريات التالفات المتلفات . .

وماذا نحصى من الفتن ، وبماذا نعلق على آثارها وعواقبها ، والشاهد الحاضر أفصح من كل لسان ، وابلغ من كل نذير .

رفض الواقع :

والحاضر الذى نشهده ونعانيه ، ونجنى ثماره ونتجرع غصصه ونتحمل مسئولياته ونذوق ويلاته . الواقع الذى نشكوه ونتبرم به يقلق الغيورين على هذه الأمة ويشغل بالهم ، ويثير مخاوفهم ، فهم ينكرونه وينفرون منه ويتوجسون منه شرا في المستقبل القريب اذا ترك العابثون يعبثون بالعقول ويجترئون على القيم ويقتحمون الحرمات ويزيفون الفوضى باسم الحرية والاباحية باسم التدين ، ويلبسون الباطل ثوب الحق ، ويروجون كل نقيصة ورذيلة باسم التقدم والتطور . هذا الحاضر يقلق الغيورين فيحاولون تغييره ،

وهذه بادرة وعى ومقدمات يقظة والناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والناس بخير ما تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » .

العمل الاسلامي :

والعاملون تحت لواء الاسلام يعملون فرادى وجماعات تحت تجمعات وتنظيمات متعددة الأسماء : اتحاد . رابطة . مجلس . جمعية . مركز . مجمع . امانة . هياة . لجنة . مؤتمر . وهذه التجمعات تضم عددا كبيرا من المفكرين والعلماء والشيوخ والشباب والنساء ، وهؤلاء جميعا يبذلون جهودا ضخمة فى التوعية الاسلامية والوقوف فى وجه التحديات ، وينفقون أموالا طائلة فى سبيل ذلك ، ولكن ينقصهم جميعا التخطيط والتنسيق فيما بينهم .

من هنا :

كل دولة اسلامية تعمل للاسلام على المستوى الرسمى والمستوى الشعبى ، وفى داخل كل دولة اجهزة متعددة للعمل فى الداخل والخارج ، ولكن لا تربط بينها ولا مخطط يجمعها . . نشرات ومجلات ومعونات مالية وكتب ومبعوثون ، ولقاءات ، ووفود تغدوا وتروح . . . جهود مرتجلة ، ولهذا كانت النتائج غير متكافئة مع الجهد الذى يبذل والأموال التى تنفق .

من الشرق مهد النبوات ومهبط الرسالات ، من مشرق النور . من الوطن العربى من العرب المسلمين الذين اختارهم الله لحمل رسالته . . من الشرق وعلى أيدى العرب المسلمين يبدأ التجمع ، ويتحرك الزحف . وبالاسلام . بالقرآن . بنقله من المصحف والصدور الى واقع عملى يحكم وينظم ، ويأمر ويملأ القلوب ، ويوجه السلوك ، ويحرك الراعى ، ويصف الجنود ، ويربى النشء ، ويسود المعاملات .

وليس فيما سبق وصفا وعلاجا مبالغة فى تصوير الواقع ، وتجن على الحقيقة ، وليس فيه جحود لما يبذل فى خدمة الاسلام ، ولا غمط للجهود التى تحاول اقامة البناء وتجديد القوى وتصحيح الأوضاع . . ليس فيما وصفنا مدعاة لليأس فاننا نؤمن بأن الأمم تمر بأيام نحس وسعد وشدة ورخاء ، ونصر وهزيمة ، وان أمتنا تخضع لهذه السنة ، فانها فى مسيرتها الطويلة لم تلزم مستوى بيانيا واحدا . . اجتمعت وتفرقت ، عدلت وظلمت . استقامت وانحرفت . غفلت واستيقظت ، ولكنها فى كل مراحلها لم تنتصر الا بالعقيدة ولم تسعد الا بالايمان . هذا وحده هو المنقذ ، ولا غنى عنه ولا بديل له .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

رضوان البيلى



للشيخ/محمد الغزالى

التعصب وصف ردىء عندما يكون معناه جمود الفكر ، وانحصار الأفق ، والتشبث بالهوى ، والجنوح الى الباطل مهما بدا عواره .

ونحن نرفض هذا الوصف ونأباه على انفسنا وقومنا ..

.. ولكن عندما يكون التعصب اثرا لاحترام الحق ، واكبار اهله ، ودعم جانبهم ، وكره عدوهم ، فان التعصب هنا يرادف الإيمان والجهاد ، ولا يتخلى عنه امرؤ ذو دين !!

وفى العالم اليوم :

- حقـــائق ارخصها الضعف ..
- وحقـــوق هضـمها البغى ..
- وقوى شرسة استمرات العـدوان ..
- ومسلمون طمـــع فيهم من لا يدفع عن نفســـه ، حتى كان البغاث بأرضنا يستنسر !!

.. افلا يوقظنا مراى هذه الصور الكريهة الى ان نعرف من نحن ؟ وماذا نحمل من رسالات الله ؟ وماذا نستطيع ان نسديه لأنفسنا وللعالم اجمع لو

غالينا بديننا وتاريخنا ، وشققنا الطريق إلى المستقبل على سناه الهادى . ؟؟
وعندما اقرأ سورة « الممتحنة » يحيا فى نفسى معنى التعصب للحقيقة ، والدفاع عنها ، والوقوف الى جانبها على رقة الحال ، وكآبة المنظر فى الأهل والمال !!
إنه ليس من الشرف أن اجامل من يهين الحق ، وليس من صدق اليقين ان امالئه واترضاه .
وقد نزلت سورة « الممتحنة » لتلقن المؤمنين هذا الدرس حتى يبقى حيا فى نفوسهم الى يوم الدين ، فقال جلّ شأنه :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. »
.. عيب واضح أن أصادق عدو الله وعدوى ، وان ابسط يدى ولسانى له بالسلام ، وهو يزدرى ما عندى — ولا يتوانى !! — ومن هنا عللت السورة النهى عن المصافاة ،فقالت بعد اثبات كفرهم :
« يخرجون الرسول وإياكم ... »
لماذا ؟ **« ... ان تؤمنوا بالله ربكم »**
ثم اطرد السياق القرآنى يقول :
« إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ... »
اى فلا تسلكوا هذا المسلك ، وتطووا قلوبكم على حب من طردكم واهانكم !!
كيف تفعلون هذا ؟.
« ... تسرون إليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم » ؟؟
والتعبير « بأنا » فى هذا الموضع يفرض علينا أن نتوقف قليلا لنتدبره فقوله جلّ شأنه :
« وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم » فيه معنى التحذير من الرقيب الخبير .
وهذا المعنى صرحت به سورة أخرى فى مثل هذه القضية قال تعالى :
« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء — إلا ان تتقوا منهم تقاة — ويحذركم الله نفسه » !!
والغريب ان هذا التحذير يتكرر فى الموضع نفسه ، مؤكدا علم الله بما نخفى وما نعلن ، حتى لا نتورط فى مسالمة عدو يبتغى إبادتنا ، أو الوقوف منه موقفا بعيدا عن الصرامة والمفاصلة ، فقال جل شأنه :
« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه » !!
تحذير يتكرر مرتين بعبارة رهيبة هى **« ... يحذركم الله نفسه »** إنما هناك توضيح لقوله هنا : **« تسرون إليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل »** .
هكذا بدأت سورة « الممتحنة » تعلمنا ضرورة التعصب للحق ، والتمسك باهدابه ، وكراهية المعتدين عليه ، والنفور من مودتهم .
وإذا كان هذا المعنى الحاسم قد تصدرها : فانه قد تمشى فى آياتها على

صور متفاوتة ، ثم كان لها الختام المبين فقال جلّ شأنه :

« يا ايها الذين آمنـوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهـم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور » .

إن « الأحياء » من الكفار قد قنطوا من عودة إخوانهم الذين ماتوا الى الحياة مرة اخرى ، أو أن « الموتى » من الكفار قد يئسوا من الحصول على مكانة عند الله في الدار الآخرة .

سواء كان هذا المعنى او ذاك فان المؤمنين لا يليق ان يصادقوا قوما تلك حالتهم !!

ولنلق على السورة من بدئها الى ختمها نظرة جامعة نتعرّف بها اسباب النزول كما ذكرها المفسرون والمؤرخون .

● ● ●

لقد استغرق نزول هذه السورة ــ على وجازتها ــ قريبا من عامين ، وصدرها نزل في السنة « الثامنة » عندما قررت الكتائب المؤمنة ان تجهز على الوثنية المتحكمة في مكة ، وان تعيد الى دائرة التوحيد هذا المعقل الأشم .

ووسط السورة نزل في السنة « السادسة » بعد ما تم « عهد الحديبية » بين المسلمين واهل مكة ،وبدأ التنفيذ وظهرت بعض المشكلات .

وآخر السورة نزل بعد الفتح الكبير ، واقبال أهل مكة رجالا ونساء على مبايعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والالتزام بتعاليم الإسلام .

ومع الاختلاف الزمني الملحوظ في نزول الآيات فان ترتيبها لم يفقد ذرة من الاتسـاق والتماسـك ، بل هو نسق من الاعجـاز السارى في اسلوب القرآن الكريم كله .

واشعر بأن القرآن في علم الله القـديم كان على هـذا الترتيب الذى نحفظه ، وان الآيات كانت تنزل وفق الاحداث ، ثم يأمر الرسول بوضعها في مكانها بتوقيت إلهي ، فتعود الى وضعها الازلي على النحو الذى يقرأ الآن

والمحور الذى دارت عليه السورة كلها ، هو الحب والبغض في الله ، وهو قاسم مشترك بين أجزاء السـورة منذ بدأ النزول ، ولذلك فان وحـدة الموضوع ظاهرة شائعة فيها ففي أوائل السورة نقرأ كيف رفض القرآن الكريم ما وقع من « حاطب بن ابى بلتعة » الذى راسل اهل مكة يخبرهم باسـتعداد الرسول للسير نحوهم ، كي يأخذوا اهبتهم !! وهو عمـل شنيع ، ولولا ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عفا عن الرجل تقديرا لسابقته في خدمة الإسلام لكان جزاؤه القتل .

وهنا نرى الوحى ــ بعد استنكار التصرف السابق ــ يقول للمؤمنين :

« لن تنفعكم ارحـامكم ولا اولادكم يوم القيـامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » . اى لا يجـوز ان يخفف شيء ما من حدة الخصـام للكفر وشيعته ، ولو كان الحرص على القرابة والولد والمـال فان جانب الله اولى بالرعـاية .

والمثل الأعلى ان يقول المؤمنون لأعدائهم : ((**إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحـــده**)) .

وهذه مصارحة بالقطيعة فى سبيل الله ، ومعالجته بالحب لله والبغض لله ، وليس أمام المؤمنين إلا هذا السلوك .

وقد كان ابراهيم والمؤمنون معه على هذا الفرار ، واذا كان ابراهيم قد لاين اباه يوما وقال له : ((**لأستغفرن لك ، وما املك لك من الله من شىء**)) .

فذلك اللين ليس مهادنة للضلال ، ولا ضعفا فى الإحساس بحـــق الله « كلا » : ((**وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه**)) .

وهكذا تقطعت اغلى الصلات إيثارا لحق الله .

.. إن حق الله على عبده لا يرجحه شىء فى الأولين ولا فى الآخرين ، والاستهانة به ضلال مبين .

هل هـــذا التهجم الشديد ضد الضلال والضالين يرجع الى غلظة طبع او شراسة خلق ! لا .. لا ..

إننا فى شوق ، الى سيادة السلام ، وامتداد عواطف الحب الى كـــل قلب ، والأمر بيننا وبين خصومنا واضح مستقيم ، فمن حاسننا حاسنّاه ، وكنا اسرع إليه بالود والرحمة .

ولكن كيف نلين مع من استباح كرامتنا ؟ ونشد إساءتنا وإهانتنا ، واخرجنا من ديارنا واموالنا ! إن مصادقة من يفعل ذلك بنا نذالة ، وخســـة لا يهبط اليها مؤمن !! قال تعالى :

((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**)) .

والظلم هنا الهوان ، وقبول الدنية ، والاستكانة الى الضيم ، والرضا بحياة الفسوق والمروق ، والعيش فى كنف الفاسقين المارقين .

هذا صدر السورة الذى استغرق نصفها ، ونزل فى السنة « الثامنة » .

اما وسطها الذى نزل من قبل ، فهو يعـــود بنا الى نص فى معـــاهدة الحديبية يقضى بأن يرد المسلمون عن المدينة من لحق بهم مؤمنا من اهل مكة ، وإن كان اهل مكة يقبلون من لحق بهم مرتدا .. !!

ومع أن الأيام اثبتت جدوى هذا النص على المؤمنين الا أن القرآن الكريم استثنى النساء ابتداء من تطبيقه وامر المؤمنين أن يمتحنوا المؤمنات الفارات بدينهن فاذا علموا منهن صدق الاعتقـــاد وشرف الغاية قبلوهن فى المجتمـــع الإسلامى فورا ..

إن هؤلاء النسوة المهاجرات التاركات لأزواج كافرين يجب أن نرحب بهن وأن نقدم تحية اكبار للعاطفة التى خرجت بهن الى دار الإيمـــان ، لقد كرهن رجالهن وفارقنهم لله فلا ينبغى ان يعدن لهم قال تعالى :

« فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وإتماما لإقامة المجتمع على احترام الدين ، واعزاز مشاعر الحب والبغض لله صدر الأمر بتسريح الزوجات الكافرات : **« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »** .

.. إن قبول هؤلاء النساء المؤمنات ومفارقة الكافرات تشريع متكامل وحكمته واضحة وقد نفذت معاهدة الحديبية بالنسبة الى الرجال الذين ما لبثوا ان نظموا حرب العصابات ضد اهل مكة حتى اضطروهم الى ان يطلبوا من الرسول قبولهم في المدينة !!

ونصل الى آخر السورة لنقرأ بيعة النساء ، كان ذلك بعد فتح مكة واستسلام اهلها لكتائب الرحمن .

إن أولئك الناس طالما آذوا الله ورسوله ، وها هي ذي « هند » المرأة التي اكلت كبد حمزة قد أعلنت دخولها في الاسلام ، فماذا نصنع معها !

لا شيء !! ننسى الماضي ، ونغفر الأخطاء ونعلمها وصاحباتها كيف تتأدبن بآداب الإسلام ، ثم يصبحن — بعد — اخواتنا :

« يا ايها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » .

نعم . إن الله غفور رحيم ، فلننس الماضي ولنتحاب في الله .

لقد كان القرآن في هذه السورة يرقب متاب هؤلاء وعودتهن الى الصواب وإقلاعهن عن إيلام المؤمنين ، قال تعالى :

« عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

والمودة المرتقبة إنما تقع من اناس يخف ضغط التعصب على قلوبهم ورءوسهم ، ويجوز أن تنقشع غيوم الغفلة عن آماقهم وضمائرهم .

فان المرء قد يخطىء لملابسات معينة احاطت به ، وربما ظل على خطئه لان هذه الملابسات بقيت في مكانها ، لم تجد من يزيلها أو ينتقصها ..

لكن ما الموقف اذا تشبث الإنسان بالزلل وهو يدعى الى الاستقامة ؟

أو اصر على الخطأ وهو يرى وجه الحق وضيئا مشرقا ؟

إن هذا الإنسان اجدر خلق الله بالمقت وأولاهم بالعقاب الآجل والعاجل .

وإنك لترى الوحي الإلهي طافحا بالوعيد وهو يتناول اولئك الجاحدين من صرعى التعصب الأعمى .

« ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

ولنلفت النظر الى ان الغفلة هنا ليست قصور عقل عن المعرفة الغائبة ، ولكنها بلادة قلب عن استيعاب المعرفة المبذولة ، والنصح القريب ! .

وهذا هو التعصب الذى يأباه على نفسه كل عاقل او منصف .
والقرآن فى آيات كثيرة يلمح الى هـذا المعنى وإن لم يذكـر التعصب بلفظه ، فإذا قال تعالى : « **إن الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** » .
فإن المقصود اناس طال نصحهم وطالت لجاجتهم ، طال تعليمهم وطال صدودهم .. وليس المقصود وصف أقوام تعرض عليهم الدعوة لأول مرة .
وبديهى ان ينتهى هذا الصدود بما ينتهى به كل جحد وتبجح ، من استمراء للشر واستهانة بالخير واستحلاء للقبيح .
« **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون . اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون** » .

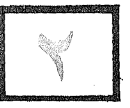
● ● ●

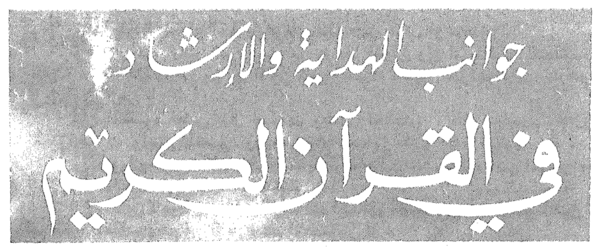
وقد صحب التعصب من قديم حيف شديد على أهل الإيمان ، وتطاول على حقوقهم المادية والادبية ، وتصوير كذوب لأقوالهم واعمالهم ، وإلحـاق للمعايب والمقابح بسيرتهم وتاريخهم وكان نصيب الأمة الإسلامية كبيرا من هذا التعصب الجائر الآثم .
ولستاستغرب مسالك الاشرار إذا جاءت وفق طبائعهم فإن الذئب المفترس لا يستكثر عليه ان يعقر ويغتال ..
إنما الغرابة من موقف المسلمين الذين كثرت حولهم الأنياب الجائعة ، والطوايا الكنود ، ومع ذلك فهم غارّون مسترسلون فى « طيبتهم » وتهاونهم .. فإلى متى ؟
إن ارضنا انتقصت من اطـرافها شرقا وغربا وفق خطـة رسمت بأناة وروية ... ثم بدات الإغارة على قلب العالم الاسلامى استكمالا للإجهاز عليه طولا وعرضا ، فهلا عرفنا ما يراد بنا ؟
إن فى العالم الآن طوفانا نجسا من التعصب ضد الإسلام وامته ، وأمامى وانا اكتب هذه السطور انباء الدماء المراقـة والأشلاء الممزعـة للمسلمين المستضعفين فى الفلبين ، وما قصة الاسلام الذبيح فى الفلبين إلا نموذج مكرر لاقطار اخرى من الأرض ، أهين فيها الدين واستبيح حماه ، وشرد أهلوه ، واكلت حقوقهم !! بل إن المسلمين ــ حيث يكونون كثرة فى بـلاد اخرى ــ .. تجرأ عليهم كل ذى ملـة وتطلـع الى ما لم يكن يحـلم به فى يـوم من الأيام !!
الا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض فى هذه الظروف العصيبة ؟ لعلنا ... لعلنا ..
فاذا تحقق ما نصبو اليه فلله الحمد .
.. نحن ما نسعى الى قتال ولا نشتاق الى سفك دم .
لكن إذا فرض علينا القتال فان الذرة من التهاون فى كراهية المعتدين جريمـــة ..
يجب ان ندخل المعركة بكل ما لدينا من غضب وقسوة وصرامة ؟

---

(١) : **هذا ما يدين به جماهير المسلمين من السلف والخلف .**

مباحث قرآنية





للقرآن الكريم في هدايته وارشاده جوانب اربعة

① جانب العقيدة ② جانب الشريعة ③ جانب الاخلاق

④ جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض

للدكتور/محمد حسين الذهبى

(الجانب العقدى فى القرآن الكريم)

اما جانب العقيدة : فقد وجهنا القرآن الكريم الى العقيدة الحقة فى الله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء .

دعانا الى معرفة الله — تعالى — وما له من صفات الكمال والجلال ، وانه واحد لا شريك له فى ملكه ، ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته ، وانه الخالق المستحق للعبادة دون غيره . .

فقال فى بيان ما لله من صفات الكمال والجلال :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (١) .

وقال : « الله لا اله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض . . . »(٢) .

وقال : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » (٣) .

وقال : « هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٤) .

وقال فى بيان ان الله واحد لا شريك له فى ملكه ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته :

« إننى انا الله لا إله إلا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » (٥) .

وقال : « ذلكم الله ربكم لا إله

إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » (٦) .
وقال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٧) .
وقال : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٨) .
وقال : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٩) .
وقال في بيان أنه المستحق للعبادة دون غيره :
« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » (١٠) .
وقال : « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم انتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (١١) .
وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ؟ ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (١٢) .
وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (١٣) .

ووجهنا القرآن الكريم الى الإيمان بالملائكة والرسل وما أنزل الله من كتاب فقال :
« قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٤) .
وقال : « يا أيها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٥) .
ويقرر القرآن الكريم عقيدة البعث والحساب والجزاء .
فيقول مقررا عقيدة البعث :
« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (١٦) .
ويقول : « قل إن الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » (١٧) .
ويرد على المستبعدين للبعث لبنى الإنسان بعد ما تمزقت أوصالهم ، ورمت عظامهم ، وتلاشت ذراتهم حتى إنهم ليقولون مستنكرين للبعث بعد هذا التمزق والتلاشي :
« ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟ » (١٨) .
« هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد » (١٩) .
« ائذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد » (٢٠) .
« ائذا ضللنا فى الأرض ائنا لفى خلق جديد » (٢١) .
.... ويرد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين للبعث والمستبعدين له بآيات كلها براهين قاطعة وحجج دامغة فيقول :

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (٢٢) .

« أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم فى لبس من خلق جديد » (٢٣) .

« كما بدانا اول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين » (٢٤) .

« ايحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (٢٥) .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه : قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٢٦) .

ثم هو يقرر بعد ذلك أن البعث لا بد أن يستتبع حسابا ، وأن الحساب لا بد ان يستتبع ثوابا أو عقابا ، والا لكان الله عابثا بخلقه غير عادل فى ملكه ، فيقول :

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٢٧) .

ويقول : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » (٢٨) .

ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم كيف تحكمون » (٢٩) .

ويقول : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون » (٣٠) .

ويقول : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » (٣١) .

(الجانب التشريعى)
(فى القرآن الكريم)

وأما جانب الشريعة : فقد سن لنا القرآن الكريم كثيرا من التشريعات والنظم التى نحتاج اليها فى عباداتنا، ومعاملاتنا ، وصلاتنا فى مجتمعنا الإسلامى ، وعلاقاتنا بغيرنا من الدول فى السلم والحرب.

ففى العبادات شرع الصلاة والزكاة والصوم والحج .... وغير ذلك من الطاعات والقرب التى يتقرب بها الانسان الى ربه ومولاه .

وفى المعاملات بين الحلال والحرام فاحل البيع وحرم الربا ، وحرم اكل اموال الناس بالباطل فقال :

« واحل الله البيع وحرم الربا » (٣٢) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣٣) .

وقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون » (٣٤) .

وقال : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » (٣٥) .

وقال : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (٣٦) .

ووضع لنا القرآن الكريم اسس الاستيثاق فيما يجرى بيننا من معاملات مالية فقال فى الدّين :

« يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » .... الى أن قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ....) (٣٧) .

وقال فى البيع : « واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » (٣٨) .

وقـال في الاسـتيثاق بالرهن :
« وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضه » (٣٩) .
وقال في الوصية : « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عـدل منكم او آخران من غيركم .. » (٤٠)
وقال لأوصياء اليتامى : « .. فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (٤١) .
ووضـع القرآن احـكام الزواج والطلاق ، وما يتعلق بهذا وذلك من مهر ونفقة وعدة وحضانة ورضاع ..
وأرسى القـرآن قواعـد الأمن والطمأنينة في المجتمع الاسلامى بما شرعه من الحدود والعقوبات عـلى بعض الجـرائم التى لا تخلو منهـا المجتمعات البشرية .
فقرر عقوبة القصاص في القتـل العمد بقوله :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصـاص في القتـلى الحر بالحر والعبـد بالعبـد والانثى بالأنثى .. » (٤٢) .
وقرر عقوبة القتل الخطأ بقوله :
« .... ومن قتـل مؤمنا خطـأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصَّدَّقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصـيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » (٤٣) .
ووضع عقـوبة لقطاع الطـرق بقوله :
« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهـم من خـلاف او ينفوا من الأرض » (٤٤) .
ووضع عقوبة للسارق بقوله :

« والسـارق والسـارقة فاقطعـوا أيديهما جـزاء بما كسـبا نكالا من الله » (٤٥) .
وشرع من العقوبات ما يصـون حرمة الأعراض ويزجر عن استباحتها وانتهاكها فقال في عقوبة الزانى غير المحصن من الرجال والنساء :
« الزانية والزاني فاجلدوا كـل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهمـا طائفة من المؤمنين » (٤٦) .
وقال في عقـوبة قذف العفيفات بالزنى :
« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » (٤٧) .
وفي محيط المجتمع الاسلامى يعمل القـرآن الكريم على تقـوية ما بين المسلمين من وحدة وترابط وإزالة ما عساه يقع بينهم من عوامل التفكك والتصدع فيشرع لهم من الأحكام ما يجتث جذور التنازع والتناحر فيمـا بينهم ، فيقول في جمع الكلمة ووحدة الصف :
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٤٨) .
ويقـول في القضـاء على الفتن والشقاق الذى يمزق هذه الوحدة :
« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسـطين . إنما المؤمنون إخـوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٤٩) .
وفي علاج المشاكل الأسرية يشرع القرآن الكريم كثيرا من الأحكام التى تزيل أسباب الخلاف وتجعل الحيـاة الأسرية تمشى في طريقها الصحيـح

الذي يجنبها العثرات والمكدرات ، وابرز مثال نسوقه من هذه التشريعات الحكيمة قوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » (٥٠) .

وفى علاقة المسلمين بغيرهم من الدول يضع القرآن الكريم قواعد المعاملة فى السلم والحرب :

ففى السلم : يدعو الى مسالمة من يسالمنا بقوله :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥١) .

وقوله : « .... فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٥٢) .

وفى الحرب : يدعو الى محاربة من يحاربنا بقوله :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٥٣) .

ودعانا الى الإعداد للحرب ما دامت متوقعة بقوله :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٥٤) .

وحضّنا على الثبات عند لقاء الأعداء بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٥٥) .

وحرضنا على البلاء فى القتال بقوله :

« فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (٥٦) .

وقوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق .. » (٥٧) .

وقوله : « فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » (٥٨) .

ونهانا عن التولى يوم الزحف بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٥٩) .

ونهانا عن الخور والوهن فى طلب الأعداء بقوله :

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » (٦٠) .

والقرآن يعطى الكافر المستأمن حق الأمان غير مروع على نفسه أو ماله فيقول :

« وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (٦١) .

ويقرر القرآن مصير اسرى الحرب بقوله :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » (٦٢) .

ويضع القرآن اسس المعاهدات ويحتم وجوب الوفاء بها والوقوف عند بنودها ما دام العدو محافظا على ذلك من جانبه ولم يَجِدّ من الظروف ما يقتضى نقضها فيقول : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٦٣) .

ويقول : « .... الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » (٦٤) .

ويقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٦٥) .

(للبحث صلة)

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) فى الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الملك .
(٤) الآيات ٢٢ — ٢٤ من سورة الحشر .
(٥) الآية ١٤ من سورة طـه .
(٦) في الآية ١٠٢ من سورة الانعام .
(٧) الآية ٢٢ من سورة الانبياء .
(٨) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .
(٩) فى الآية 11 من سورة الشورى .
(١٠) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج .
(١١) الآيات ١٩١ — ١٩٥ من سورة الأعراف
(١٢) الآيات ٤ — ٦ سورة الاحقاف .
(١٣) الآية ١٧ من سورة النحل .
(١٤) الآية ١٣٦ سورة البقرة .
(١٥) الآية ١٣٦ من سورة النساء .
(١٦) الآية ٧ من سورة التغابن .
(١٧) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الواقعة .
(١٨) الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة الواقعة .
(١٩) فى الآية ٧ من سورة سبأ .
(٢٠) فى الآية ٣ من سورة ق .
(٢١) فى الآية ١٠ من سورة السجدة .
(٢٢) فى الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٢٣) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢٤) فى الآية ١٠٤ من سورة الانبياء .
(٢٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة .
(٢٦) الآية ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢٧) الآيتان ١١٥ ، ١١٦ من سورة المؤمنون
(٢٨) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة ص .
(٢٩) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة القلم .
(٣٠) الآية ٥٨ من سورة غافر .
(٣١) الآية ٢١ من سورة الجاثية .
(٣٢) فى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .
(٣٣) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٣٤) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .
(٣٥) فى الآية ١٥٢ من سورة الانعام .
(٣٦) فى الآية ١٠ من سورة النساء .
(٣٧) ، (٣٨) فى الآية ٢٨٢ من البقرة
(٣٩) فى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٤٠) فى الآية ١٠٧ من سورة المائدة .
(٤١) فى الآية ٦ من سورة النساء .
(٤٢) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة .
(٤٣) فى الآية ٩٢ من سورة النساء .
(٤٤) فى الآية ٣٣ من سورة المائدة .
(٤٥) فى الآية ٣٨ من سورة المائدة .
(٤٦) الآية ٢ من سورة النور .
(٤٧) الآية ٤ من سورة النور .
(٤٨) فى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٤٩) آيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .
(٥٠) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة النساء .
(٥١) فى الآية ٦١ من سورة الانفال .
(٥٢) فى الآية ٩٠ من سورة الانفال .
(٥٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .
(٥٤) فى الآية ٣ ، ٦ من سورة الانفال
(٥٥) الآية ٤٥ من سورة الانفال .
(٥٦) فى الآية ١٢ من سورة الانفال .
(٥٧) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٥٨) فى الآية ٥٧ من سورة الانفال .
(٥٩) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الانفال .
(٦٠) الآية ١٠٤ من سورة النساء .
(٦١) فى الآية ٦ من سورة التوبة .
(٦٢) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٦٣) فى الآية ٩١ من سورة النحل .
(٦٤) الآية ٤ من سورة التوبة .
(٦٥) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

الطفولة بين عناية الإسلام

محمد سلام مدكور

عنيت الأديان وسائر التشريعات بالطفولة ، ومن وجهة نظر الإسلام فإنه يجب أن تتعهدها يد « برة » رحيمة حريصة عليها مخلصة لها ، لا تسلك بها في التربية مسلك القسوة والعنف ولا مسالك الطراوة والتدليل ، ولكن الوسطية التي يوجهنا اليها الإسلام . فيساسون بالرحمة مع شيء من الحزم . تتكون الشدة من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، وإنما الرحمة مع الحزم دون اسراف في اللوم والتعنيف اذا اقترف الطفل ذنبا يقول الله سبحانه : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله .. »

ولا أدل على رعاية الاسلام للطفولة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .. فقد جعل الاختيار عند الزواج اساسا لمصلحة الأطفال ، إذ الطفولة هي البراعم التي ستتفتح عن شباب المستقبل ، وبقدر ما نحسن في إعدادها وتوجيهها بقدر ما نجنى منها للأسرة والمجتمع من عمل مثمر منتج .

والأسرة هي المدرسة الأولى لتربية الأطفال وتنشئتهم ، ففيها وحدها يوضع حجر الأساس التربوي حيث يكون الطفل عجينة لينة طيبة ، والأبوان هما اقدر الناس على رعاية أولادهم والقيام بشئونهم لما غرسه الله في نفوسهم من حب فطرى لهم ، وما وهبهم الله بحكم الأمومة والأبوة من قدرة على احتمال المشاق بنفسية سعيدة راضية في سبيل إسعاد اطفالهم .

ومن عناية التشريع الاسلامي بالطفولة أن رتب لها حقوقا كثيرة منها حق الطفل في اكتساب جنسية الأب بناء على حق الدم ، ومنها تبعية خير الأبوين دينا ، ولما كان الاسلام لا يجيز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، بينما يبيح للمسلم الزواج بغير المسلمة من اهل الكتاب فان الأولاد بناء على ذلك يتبعون ديانة الأب المسلم ، أما إذا كان الأبوان غير مسلمين ثم أسلمت الزوجة ولم يقبل الزوج الاسلام فان الأطفال يتبعون ديانة الأم فضلا عن التفريق بينها وبين الزوج .

ومن عناية الاسلام بالطفولة ان

بالطفولة وتحريمه التبني

وجه الى تغير الاسم الذي يطلقونه عليه ، بحيث لا يكون اسما يسبب له مضايقات فى المجتمع ، ويجعله موضع سخرية واستهزاء بين الأطفال فتتعقد نفسيته بسبب ذلك ، وينفر من الناس والاجتماع بهم ، مع أن الإسلام يحرص على الجماعة ورتب لها فى احكامه وتشريعاته ما يجعلها متكررة مستمرة .

ومن عناية الشارع بالطفولة ان رتب لها حق ثبوت النسب ، وحق الرضاعة ، والحضانة ، والولاية ، واوجب التقاط اللقطاء والعناية بهم والحفاظ عليهم ، واذا كان الإسلام حرم التبنى ومنعه لحكمة سامية فانه اعتبر مجهول النسب اخاً لنا فى الدين تربطنا به الأخوة العامة فى الإسلام .

قد يقال : إذا كان الإسلام جعل الأسرة الحقيقية هى المحضن الطبيعى لنمو الطفل ، تنمو فيه عاطفته وتستقر مشاعره ، وتتوطد علاقاته الطبيعية ببقية افراد الأسرة ، وعنى بالطفولة هذه العناية فقرر لها تلك الحقوق التى اشرنا اليها فلماذا يبطل التبنى مع ما فيه من إشباع لعواطف الآباء والأطفال ، وربط الطفل بنسب يسعد به بين الناس ، ويدفع عنه معرّة جهالة نسبه .

الواقع أن الإسلام حين يقرر حكما من الأحكام لا يقرره ليستكمل به شكلا تشريعيا معينا ، ولكنه يفعل ذلك وهو يضع فى اعتباره تنظيم حياة الناس ، ثم يجعل تنفيذ هذا الحكم لونا من الوان العبادة التى هى العلاقة الخالصة بين الخلق والخالق ، وهو من اجل ذلك يجعل الغاية من إنزال الكتاب هى الحكم بين الناس وتنفيذ تشريعاته فى مجتمعاتهم ، يقول سبحانه « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

والإسلام حين يبطل التبنى — بعد العمل به فترة طويلة فى عهد الرسول وفى صدر التشريع — يعلن الحكمة الكامنة من وراء ذلك فيقول جلّ شانه : « وما جعل ادعياءكم أبناءكم » ثم يذكر السبب فيقول : « ذلكم قولكم بأفواهكم » أى أنه ادعاء يبدو فيه الكذب ، ثم يقرر الاتجاه الصحيح فيقول : « ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » ثم يوجه الى ما ينبغى أن يكون عليه الناس مع مجهولى النسب من حسن معاملة فيقول : « فان لم

تعلموا آباءهم فاخــوانكم فى الدين ومواليكم » .

فاللقطاء ومجهــولو النســب يعيشون فى رعــاية الإسلام وذمته وهم اخوان المسلمين ، ومن هنا لم يجد المسلم مجهول النسب غضاضة فى أن يُعرف بذلك ، أو أن يعلنه هو بنفسه ما دام فى المجتمع الاسلامى الذي يخضع في جميع صلاته لتعاليم الاسلام وارشاداته ، لأن هذا المجتمع الرحيم قد أصبح بمثابة أبيه ونســبه الذي لا يعدل به نسبا ، ولذا فان أبا بكرة ــ نفيع بن الحارث كما يسميـــه رجال الحديث ــ أعلن جهالة نســبه وقال ــ كما روى الطبرى ــ أنا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم فى الدين ومولاكم .

وحمـــاية من الاســـلام لمجهولى النسب من المنحرفين فى المجتمــع الذين لا يكفى لاصلاحهم مجــــرد التوجيه الخلقى ، وضع عقوبة صارمة لمن يُعيّر احدا بذلك كان يقول له : يا ابن الزنى ، ولم يجعل جهــــالة النسب مما يعيب الشخص نفسه إذ كل نفس بما كسبت رهينة ، كما انه لا تزر وازرة وزر اخرى ، فمجهــول النســـب لم يقتــرف إثمـــا ولا ذنبا وإنما هو ثمرة جناية غيره وجريمته .

ومع هذا فقد اوجد الاسلام المجال فسيحا أمام من تورط فاتصل بامراة عن طريق عقــد زواج فاسد او وطء بشبهة ، وأنجبت منه نتيجة ذلك ، فأجاز له أن يثبت نسب هذا المولود عن طريق الاقرار ، ولم يجعل للقاضى كما يقرر فقهاء الحنفية حق ســـؤاله عن ما وراء هـــذا الاقرار ما دامت الشــروط المعتبرة لصــحة الاقرار متوافرة وفى ذلك تيسير لــــن تورط فى غير الزنى ، وستر لسبب النسب الذى قد يكون فى إظهاره ما يلحــق الضرر أو العار بالولد أو بالوالدة . إذ قد يكون نتيجة وطئه زوجة الغيــر ظنا منه أنها زوجته ، أو شيء من هذا القبيل .

وتتلخص شـــروط صحـــة الاقرار بنسب الولد له أن يكــون المقر به مجهول النسب ، وأن لا ينازعه فيه منازع والا احتجنا بجانب الاقرار الى البينة أو القرائن ، وأن تكون البنـــوة بينه وبين من يدعيه متصورة بأن يكون فارق السن بينهما يسمح بأن يولــد مثله لمثله ، كما يشترط تصديق المقربه اذا كان من أهل التمييز أى بلغ سن السابعة أو أكثر . فالاقرار وحده مع هذا يكفى لالحاق الصغير بنسب من يدعيه دون حاجة الى أى اثبات آخر وما ذلك الا لحــرص الشــارع على مصلحة الاطفال وثبوت نسبهم .

ولا ينبغى أن يتصور احد أن هـــذا طريق يفتح الباب فسيحا أمام التبنى الذى قلنـــا ان الاسلام حــرمه لأن الاقرار بالنسب هو مجرد اخبار عن قيام سبب موجب لثبوت النسب . بينما التبنى تصرف قانونى يقصد منه إنشاء نوع خاص من النسب لم يكن ثابتا قبله ، وهو يعلم أنه منســوب فى الحقيقة والواقع الى غيره معلوما كان نسبه الاصلى أم مجهولا .

فالتبنى هو اتخاذ رجل ابن غيره المعروف أو المجهول كولده ونسبته اليه وإعطاؤه كل أحكام الابن الصلبى وقد عرفت عـــادة التبنى من قـــديم الزمان فعرفها قدماء المصريين ، كما عرفها غيرهم من الأمم والشعوب ، ورغم أن التبنى كان وما يزال شائعا فى أوربا وأمريكا ، فانه لم يسمح به فى الولايات المتحدة بصفة قانونية الا سنة ١٨٥٦ م وكذلك لم يعرف فى

انكلترا بصورة قانونية الا ســـنة ١٩٢٦ م وفى فرنسا صـــدر قانون التبنى سنة ١٩٢٣ . وتتطلب قوانين التبنى موافقة الآباء الطبيعيين للطفل اذا عرفوا على هذا التبنى ما داموا قد تنازلوا عن أبوتهم ، كما تتطلب موافقة الطفل نفسه أن كان مميزا .

ومن هذا يبين أن التبنى فى هذه القوانين يشمل نزع الطفل من عائلته الأصلية ونسبه المعلوم ، وتغيير اسمه الحقيقى الذى ينتمى اليه بحكم الدم ، وجعله منتميا نهائيا الى من تبناه ، وبذا يصير أجنبيا عن أهله الأصليين كما يشمل تبنى شخص مجهـــول النسب والحاقه بنسب المتبنى .

وقد عرف العرب فى الجاهليـــة نظام التبنى بصورتيه ، وبقى فترة فى صـــدر الاســـلام ، ومن ذلك تبنى الاسودُ بن عبد يغوث للمقـــداد ابن عمرو بن ثعلبة ، وكان المقداد مع أبيه الأصلى يقيم فى حضرموت ، ولما كبر اعتدى على أحـــد شباب كنـــدة وهرب الى مكة وحالف الاسود بن عبد يغوث الزهرى الذى تبناه .

وكذلك فقد تبنى ابو حذيفة بن عتبة سالم بن معقل من اهل الفرس ، كما تبنى الخطاب أبو الفاروق . عـــامر ابن أبى ربيعـــة بن كعب بن مـــالك ، وكذلك فقد تبنى محمد بن عبـــد الله قبل بعثه زيد بن حارثة . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن زيد ابن حارثة كان فى أخواله بنى مَعْن من طىّ . فأصيب فى نهب وجىء به الى سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام ابن خويلد إلى عكاظ يتسوقُ بها وكانت السيدة خديجة قد أوصته أن يشترى لها غلاما ، فلما وجد زيدا ابتاعـــه لها ، ولما تزوجها محمد بن عبد الله أعجبه حسنه فوهبته له فشب عنده حتى خرج مرة فى إبل لأبى طـــالب بأرض الشام فتعرف عليه قومه فاتوا معـــه الى سيده ومولاه محمـــد ابن عبد الله وقـــالوا له : امنن علينـــا وأحسن الينا فى فدائه ، وإنا لندفع اليك فى الفـــداء ما أحببت ، فخيره سيده . فقال زيد : ما انا بمختـــار عليك احدا أبدا . انت منى مكان الأب والعم . فما كان من سيده الا ان قال : اشهدوا انه حر وانه ابنى يرثنى وأرثه . وبقى في الجاهلية وصـــدر الإسلام يدعى زيد بن محمد .

وبعد فترة من بدء الرسالة وظهور الاسلام نزل قول الله تعالى : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخـــوانكم فى الدين ومواليكم » ولذا فان ابا بكرة قـــال حينما نزلت هذه الآية : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا اخـــوكم فى الـــدين ومولاكم ، وبذا يكون الاسلام ابطل التبنى بنوعيه بعد أن علق بأذهـــان العرب وتحكم فى اوضاعهم .

والحكم بابطال التبنى حكم معقول المعنى تتطلبه سلامة المجتمع وسلامة الأسرة نفسها واتباع حدود الله . فالتبنى يخول للمتبنى الاختلاط بجميع افراد الأسرة والاطلاع على عورات افرادها ، ويحرم عليه التزوج من بنت متبنيه او اخته مـــع انها فى الأصـــل تحل له : ويحل له هـــذا التبنى ان يتزوج باخته الحقيقية وعمته مع انها فى الأصل تحرم عليه ، كما أنه بحكم التبنى يصبح وارثا فى تركـــة المتبنى باعتبـــاره ابنا له ويحجب غيره عن الأرث ممن يستحقون الأرث بحكم الله دونه ، وقد يكون الأب الحقيقى فقيرا وهـــذا الابن الـــذى نســـب الى الغيـــر موســـرا فـــلا يستطيع ان يطالبه بنفقته مع انها تجب له شرعا عليه . بينما يجبر ذلك الأب الجديـــد المتبنى ان كان محتاجا الى الانفـــاق

عليه . مع انها لا تجب بحكم الشرع ، وكل هذا تغيير لحدود الله وخروج على أحكامه ، فوق انه تغيير لأحكام الطبيعة نفسها .

واذا كان فى التبنى ناحية إنسانية وإشباع للعاطفة ، فان الإسلام بعد أن نظم العلاقات الأسرية وبين أحكامها انتهى الى ان التبنى لم يكن له دور فى المجتمع الإسلامى الذى عنى بتشريع الأسرة ، وأباح تعدد الزوجات وحرم الزنى ، وعمل على حماية أفراده من الوقوع فيه ، وصبغ الصلة الرضاعية ببعض الأحكام الشرعية التى تربط الرضيع بأسرة من ارضعته ، وبعد أن وضع القواعد الخلقية التى أرست قاعدة الأخوة الدينية بينهم وبين مجهولى النسب ، ومع هذا فان التبنى كذب وافتراء على الله والناس وتغيير للطبيعة وخلق الله ، إذ كيف يخلق الله للإنسان نسبا طبيعيا من شأنه أن يتمسك به ويعتز ، فينخلع منه أو يخلع وينسب الى نسب آخر لا صلة له به ؟! ان فى ذلك افتئاتا على فطرة الانسان وتكذيبا لنشأته الأولى .

ولا ينبغى أن يقال إن فى التبنى إسعادا للطفل مجهول النسب ، لأن من يتبنى شخصا انما يمنحه من عطفه وإقباله وحنانه ما يشعره فيه بالحب ، ويعينه به على إظهار غرائزه وتنمية بدنه . اذ الواقع أن هذا يصطدم بالحقيقة النفسية ، فان كل هذه المظاهر متكلفة كثيرا ماتزيلها أدنى عقبة من العقبات التى تطرأ فتقلب أحيانا العطف الى قسوة ، وقد لمسنا أن كثيرا من هذه الصور اتصلت بمآسى ابرزها خيانة الولد لمتبنيه ، وتصرفه فى بيته وفى أمواله على ضوء هذا التدليل تصرفا يغير نظرة المتبنى اليه . فتكون الفظائع والفجائع ، وخاصة حينما يصارحه بالحقيقة أو يعلمها المتبنى من أى طريق .

فأين هذا من صلة الأبوة والبنوة الطبيعية التى تأبى على كل منهما أن يرعى حق الآخر بعاطفة الحب الغريزى مهما تقلبت الأمور . فاذا كان المتبنى يتكلف العطف ليرأب صدع ذلك الترقيع فان الأب كثيرا ما يتكلف القسوة ويتظاهر بها حرصا على صالح الابن ، حرصا منبعثا من خالص الحب . فكما يقول العرب قديما : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وهذا يصور الفرق ما بين الأب الحقيقى والأب الصورى .

وبعد . فان الذى يشرع للعباد إله رحيم ، يعرف مصلحتهم وان جهلوا هم هذه المصلحة ، وما دام قد خلقهم فهو الذى يتكفل باقامة مجتمعاتهم ورعايتها والتقنين لها ، وصدق الله العظيم « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا .. » وصدق تعالت قدرته فى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا .. » .. وأخيرا فالحق احق أن يتبع ، ولا يستقيم أمرنا الا باتباع حدود الله .



للدكتور / احمد المجدوب

استحوذ موضوع المساهمة الجنائية على اهتمام المشرّع والفقه منذ عهود موغلة في القِدم ، او بعبارة اخرى ، منذ ان قامت سلطة الدولة وتقرر حقها فى سن القوانين وفرض الجزاءات على من لا يلتزمون بما تتضمنه من أوامر ونواه ، ذلك انه قد اتضح منذ اللحظة الأولى وجود تفاوت فى اهمية وخطورة الأفعال التى يرتكبها المساهمون فى الجريمة ، بحيث يعتبر بعضها من الأسباب المباشرة فى وقوع الجريمة بينما يعتبرها البعض الآخر من الأسباب غير المباشرة فى وقوعها . وهو ما يجب ان يراعى عند توقيع العقاب على هؤلاء المساهمين بحيث لا يتساوون في شدة العقوبة او قسوة الجزاء وإلا كان هذا منافيا لأبسط مبادىء العدالة .

ولكن هذا ليس معناه ان المجتمعات الإنسانية المختلفة قد واجهت مسألة التفرقة بين المساهمين فى الجريمة والتمييز بين نشاطهم الاجرامى فى مستوياته المختلفة بطريقة واضحة ومنهج سليم ، بل لعلها وقد ادركت وجود ذلك التباين لم تسع الى الاستفادة به فى الأخذ بما يسمى اليوم تفريد العقوبات تبعا لخطورة المساهمين فى الجريمة ، بل سعت الى البحث عن مبررات تستند اليها فى جعل عقوبة المساهمين فى الجريمة واحدة وبنفس الشدة بغض النظر عن التفاوت

فى درجة إجرامهم ، المتمثلة فى الأفعال التى ارتكبها كل منهم ، وكان مما زعمته فى هذا الصدد ، ان اعمال الشريك فى الجريمة ليست محرمة فى ذاتها وإنما تصبح كذلك نتيجة الاتصال بين الشريك والفاعل ، فمن يقدم المساعدة للقاتل ليس خاطئا ، وإنما يستمد الخطيئة ويكتسب الدنس ـــ اى دنس الجريمة ـــ من هذا القاتل .

وهذا التفسير مستمد من عادات ذات اصول قديمة كانت تقضي بأن الخطيئة تنتقل من شخص الى آخر سواء نتيجة وجود صلة قرابة او علاقة جوار ، مما يؤدى الى انتقال الدنس (الخطيئة) بين الناس . وقد ظلت هذه الفكرة سائدة فى بعض الديانات التى يؤمن اتباعها بأن الخطيئة تورث ، وأن آدم عليه السلام قد اورث نسله ـــ اى البشر جميعا ـــ خطيئته فهم جميعا خطاة ، كما تأخذ بمبدأ الفداء والتضحية الذى بمقتضاه يمكن ان يفتدى شخص خطيئة الناس جميعا بنفسه ومن هنا جاءت فكرة وحدة الجريمة ، اى الخطيئة ووحدة الجزاء او التضحية والفداء وهذا هو جوهر فكرة الاستعارة الاجرامية (١) .

وقد انتقلت هذه الفكرة الى القانون الرومانى ومنه الى القانون الكنسى ، ثم الى التشريع الفرنسي القديم ومنه الى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ . وصيغت فى نظرية أطلق عليها نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة ، التى يرجع الفضل فى تجديدها الى الفقيه الألمانى فون بورى سنة ١٨٦٠ . وطبقا لها فان الشريك فى الجريمة سواء كانت صورة اشتراكه هى التحريض او الاتفاق أو المساعدة ، لا تعتبر افعاله هذه مجردة ومنفصلة عن النشاط الأصلى للفاعل ذات طبيعة اجرامية ولكنها تستعير هذه الطبيعة الاجرامية بارتباطها بالنشاط الصادر عن الفاعل الأصلى ومن ثم فان الشريك يسأل عن جريمة غيره التى اشترك فيها ، وتوقع عليه عقوبتها كما توقع على غيره من المساهمين فى الجريمة ، نظرا لوحدة الارادة الاجرامية لديهم التى يترتب عليها وحدة المسئولية بالنسبة لهم ، تلك المسئولية التى يتم تحديدها على اساس مدى خطورة الأفعال المرتكبة .

من هذا يتضح أن نظرية الاستعارة الاجرامية تستند الى فكرة غير صحيحة هى فكرة وراثة الخطيئة وفكرة المسئولية الجماعية . وهذه وتلك فكرتان لا يقرهما الاسلام بل يعارضهما بشدة طبقا لقوله تعالى : ((**تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما اكتسبتم ولا تسالون عما كانوا يفعلون**)) فنحن لا نسأل عما فعله اسلافنا لأن الخطيئة لا تورث . وكذلك لا يسأل شخص عما فعله غيره ((**وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه**)) كذلك فانه ((**لا تزر وازرة وزر اخرى**)) و ((**الا تزر وازرة وزر اخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى**)) ((**ولا تكسب كل نفس الا عليها**)) ((**ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها**)) و ((**من يعمل سوءاً يجز به**)) وهكذا يبدو مبدأ المسئولية الشخصية واضحا جليا بشكل لا لبس فيه فى الشريعة الاسلامية .

فاذا ساهم شخص فى جريمة ما فانه يسأل فى حدود ما اتاه من فعل يخالف به نهيا ، أو ما صدر عنه من امتناع يخالف به أمرا ، فهو يستقل بجرمه لا يستعيره من غيره وينفرد بخطيئته لا يستمدها من سواه .

فالاشتراك فى الجريمة سواء كان بالتحريض أو بالاتفاق او بالمساعدة هو جريمة مستقلة يسأل مرتكبها عنها وحده مستقلا بأوضاعه وظروفه واحواله جميعا عن غيره من المساهمين فيها سواء كانوا فاعلين او شركاء .

فنظرية ان الاشتراك جريمة مستقلة هى النظرية التى تحكم المساهمة الجنائية فى الشريعة سواء كانت مساهمة أصلية أو مساهمة ثانوية . وهى نظرية واضحة المعالم ، متكاملة الأركان تستند كما أسلفنا الى موقف عقائدى يتعارض تماما مع الفكرة الأساسية التى تستند اليها نظرية الاستعارة الاجرامية فى صورتها المطلقة والنسبية .

مضمون النظرية :

تقوم نظرية الاشتراك جريمة مستقلة على أساس أن الشريك لا يستعير إجرامه لا من الفاعل الأصلى للجريمة (نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة) ولا من الجريمة التى ارتكبها هذا الفاعل (نظرية الاستعارة الاجرامية النسبية) وإنما يستقل بجرمه ، بحيث يسأل عن فعل أثبتت صلته بالفعل الأصلى وبالفعل الثانوى الآخر اذا وجد وبالتالى يعاقب عن جريمة مستقلة عن جريمة سواه ممن ساهموا فى الجريمة الأصلية .

فتقدير فعل كل شخص فى الجريمة يتم على انفراد ، سواء من حيث تحديد التهمة المنسوبة اليه أو من حيث وصف الجريمة التى نشأت عن فعله ، وطبقا لهذه النظرية لا يوجد فاعلون وشركاء بالمعنى الوارد فى نظريتى الاستعارة ، بل يوجد عدد من الجناة وعدد من الجرائم .

والنتيجة المنطقية لهذا الوضع هى وجود نصوص فى قانون العقوبات تحكم الأفعال المختلفة سواء منها ما يطلق عليه وصف مساهمة أصلية ، أو ما يطلق عليه وصف مساهمة ثانوية ، وبالتالى يزول الوضع القائم فى معظم قوانين العقوبات الآن والذى يخضع الفاعلين والشركاء فى الجريمة الواحدة لنص واحد بالرغم من التباين الشديد بين نشاط كل منهم والتفاوت فى درجة الخطورة لديهم ويترتب على تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التغلب على غالبية المشكلات التى أثارها تطبيق نظرية الاستعارة الاجرامية والقضاء على معظم الصعوبات التى تسببت فيها .

نتائج نظرية الاشتراك جريمة مستقلة :

اولا : تتلافى النظرية النتائج المسرفة فى الخطأ التى نشأت عن استناد نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة الى فرض لم تتحقق صحته وهو أن نشاط الشركاء ليس مجرما فى ذاته ، وانما النشاط المجرم فى ذاته هو نشاط الفاعل وهو ما ادى الى اعتبار نشاط الفاعل ــ كقاعدة عامة ــ ذو طبيعة اجرامية دائما واعتبار نشاط الشريك مجردا من هذه الطبيعة . وهى نتيجة لا يمكن التسليم بها لأن النشاط الذى يصدر عن الفاعل فيه ما هو مجرم بطبيعته وفيه ما ليس كذلك ، ولكنه يصبح غير مشروع لعدة اسباب ، بعضها يرجع الى قصد الفاعل ، أو الى عدم رضاء المجنى عليه ، أو الى طبيعة المحل الذى وقع عليه الاعتداء ، والبعض الآخر يرجع الى صفة خاصة فى الفاعل أو الى الظروف التى يقع فيها الفعل .

ولذلك فان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تنظر الى فعل الشريك مستقلا عن فعل الفاعل وتسأل كل واحد عن فعله وفى حدود ما توفر لديه من قصد .

ففى جريمة السرقة ، اذا اشترك اثنان فى نقب الحرز ثم انفرد أحدهما بأخذ المال قطعت يد المنفرد منهما بالأخذ دون الشريك فى النقب (٢) . فالأول

يوقع عليه الحد لأنه السارق ، اما الثانى فلا يوقع عليه الحد لأنه لم يسرق وإنما توقع عليه عقوبة تعزيرية باعتبار ان ما ارتكبه هو جريمة تعزيرية تستقل عن جريمة السارق ، فيجلد او يسجن .

ثانيا : ان القول بأن عمل الشريك ليس محرما فى ذاته من شأنه ان يحجب مالهذا العمل مجردا من تلك الصلة بينه وبين الفاعل الأصلى (الاستعارة المطلقة) أو بينه وبين فعل الفاعل الأصلى (الاستعارة النسبية) من خصائص نفسية ومادية ذات طابع اجرامى ، فالنشاط الصادر من الشريك قد يكتسب الصفة غير المشروعة من قصد الشريك نفسه وليس من قصد الفاعل وذلك بالنسبة للتحريض الذى يسبق فيه قصد الشريك فى الوجود قصد الفاعل — بل انه هو الذى يخلق القصد لدى هذا الفاعل . وفى الأحوال التى يكون فيها المنفذ حسن النية أو غير ذى أهلية جنائية ، فانه لا يمكن القول بوجود قصد اجرامى لدى الفاعل يمكن أن يكسب نشاط الشريك الطبيعة غير المشروعة .

وهو ما تجنبته نظرية الاشتراك جريمة مستقلة بفصلها بين الفاعل والشريك ومساءلتها كلا منهما على حدة فاذا حرض شخص آخر على قتل ثالث فقتله فان القاتل اذا كان صبيا لا يميز او حسن النية لا يعلم أن طاعة المحرض لا تجوز فى القتل بغير حق ، وحب القصاص على الآمر اى المحرض لأن المأمور هنا كالآلة للآمر (٣) .

وفيما يتعلق بالتحريض واثره فى مسئولية المحرض عن الجريمة التى حرض عليها ، اختلف الفقهاء فى المكرَه والمكره ، وبالجملة الآمر والمباشر ، فقال مالك والشافعى والثورى وأحمد وأبو ثور وجماعة : القتل على المباشر دون الآمر (المحرض) ويعاقب الآمر ، وقالت طائفة : يقتلان جميعا ، وهذا اذا لم يكن هنالك إكراه ولا سلطان للآمر على المأمور ، وأما اذا كان للآمر سلطان على المأمور ، أعنى المباشر ، فانهم اختلفوا فىذلك على ثلاثة أقوال . فقال قوم : يقتل الآمر دون المأمور ، ويعاقب المأمور ، وبه قال داود وأبو حنيفة ، وهو احد قولى الشافعى .

وقال قوم يقتل المأمور دون الآمر ، هو احد قولى الشافعى . وقال قوم : يقتلان جميعا ، وبه قال مالك : فمن لم يوجب حدا على المأمور أعتبر تأثير الاكراه فى اسقاط كثير من الواجبات فى الشرع ، لكون المكرَه يشبه من لا اختيار له ، ومن راى عليه القتل غلب عليه حكم الاختيار وذلك أن المكرَه يشبه من جهة المختار ويشبه من جهة المضطر المغلوب ، مثل الذى يسقط من علو والذى تحمله الريح من موضع الى موضع ، ومن راى قتلهم جميعا لم يعذر المأمور بالاكراه ولا الآمر بعدم المباشرة . ومن راى قتل الآمر فقط شبه المأمور بالآلة التى لا تنطق . ومن راى الحد على غير المباشر اعتمد انه ليس ينطلق عليه اسم قاتل الا بالاستعارة (٤) .

ثالثا : ان الشريك يعاقب حتى ولم يرتكب الفاعل الأصلى الجريمة التى قصد الشريك المساهمة فيها وهو ما لم تكن نظرية الاستعارة الاجرامية تتيحه ، لأن المسئولية الجنائية للشريك تتبع المسئولية الجنائية للفاعل الأصلى فى هذه النظرية . فيشترط ان تقع الجريمة والا فلا مسئولية لا على الفاعل ولا على الشريك ، وبالتالى لا عقاب على أحدهما . بعكس الوضع فى الشريعة الاسلامية حيث يعاقب على المعاصى ، فاذا كان فعل الشريك يدخل فىمعنى المعصية عوقب حتى ولو لم يؤد الى وقوع جريمة ، مثال ذلك من يحرض شخصا على قتل ثالث فان امتناع المحرض عن ارتكاب القتل لا يعفى المحرض من مسئوليته عن جريمة

التحريض ، وهي من جرائم التعازير . فتوقع عليه عقوبة تعزيرية .
رابعـا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة لا تمد أثر الظـروف ذات الطبيعة الشخصية التي تؤثر في المسئولية كموانع المسئولية (صغر السن أو الجنون) أو عدم قيام القصد الجنائي الخاصة بالفاعل الأصلي الى الشريك ، ومن ثم فان الشريك في الجريمة التي يرتكبها الصغير او المجنون يسأل عن اشتراكه بالرغم من أن الجريمة لا تعتبر قائمة نظرا لعدم توفر العناصر الشخصية .
فاذا زنى الصبي أو المجنون بامرأة طاوعته فلا حد عليه ، ويجب الحد عليها ، وهو رأي زفر والشافعي وهو رواية عن أبي يوسف . واذا زنى صحيح بمجنونة ، أو صغيرة يجامع مثلها حد الرجل خاصة ، وهذا بالاجماع لأن العـذر من جانبها لا يوجب سقوط الحد من جانبه . فكذا العذر من جانبه ، وهذا لأن كلا منهما مؤاخذ بفعله (٥) .
كذلك اذا توفر ظرف شخصي سواء كان مخففا أم مشددا ، فانه لا يمتـد الى الشريك وإنما يقتصر أثره على من توفر لديه فاعلا كان أم شريكا ، ففي جريمة القذف اذا كان الفاعل في الجريمة هو الزوج قد قذف امرأته بزنا وشاركه في الجريمة شخص آخر ، فان للزوج بصفته هذه أن يدرأ الحد عن نفسه باللعـان (واللعان هو أن يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله اني لمن الصادقين ، ثم يقول وعليّ لعنة الله ان كنت من الكاذبين .
وتقول المرأة اربع مرات أشهد بالله أنه لمن الكاذبين ثم تقول وعليّ غضب الله ان كان من الصادقين ،والدليل عليه قوله عز وجل : « **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شـهداء إلا انفسهم فشهادة أحـدهم أربع شـهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين** » .
فان أخل أحدهما بأحد هذه الالفاظ الخمسة لم يعتد به لأن الله عز وجل علق الحكم على هذه الالفاظ فدل على أنه لا يتعلق بما دونها ، ولأنه بيّنة يتحقق بهـا الزنا فلم يجز النقصان عن عددها كالشهادة .
وإذا لاعن الزوج يسقط عنه ما وجب بقذفه من الحد أو التعزير ولا يسـقط من الشريك ، أما إذا امتنعت الزوجة عن درأ الحد عن نفسها بالقسم فانها تعتبر مقرة بالزنا وتحد ولا يحد الزوج ولا الشريك فان تلاعنا ثم قذفها اجنبي حد لأن اللعان حجة يختص بها الزوج فلا يسقط به الحد عن الأجنبي فإن قذفها ولاعنها ونكلت عن اللعان فحدت فقد اختلف أصحابنا فيها فقال ابو العبـاس : لا يرتفع أحصانها الا في حق الزوج فان قذفها أجنبي وجب عليه الحد لأن اللعان حجة اختص بها الزوج فلا يبطل به الاحصان إلا في حقه (٦) .
كذلك في جريمة الزنا إذا كان أحد الشريكين محصنا والآخر غير محصن فان عقوبة غير المحصن لا تشدد فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا : « ان رجلا من الأعراب اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رسـول الله انشدك الله الا قضيت لي بكتاب الله ، فقال الخصم وهو أفقه منه : نعم اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن اتكلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قل ، قال : ان ابني هذا كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته ، واني اخبرت ان على ابني الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة . فسألت اهل العلم فأخبروني إنما على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وان على امرأة هذا الرجم ، فقال الرسول عليـه الصلاة والسلام : والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله : أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا انيس على امرأة هـذا

فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها أنيس فاعترفت ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام بها فرجمت (٧) .
كذلك إذا توفر النصاب الذى يجب فيه القطع فى جريمة السرقة فى حق احد المساهمين ولم يتوفر فى حق الآخر فان الأول يعاقب بالقطع دون الثانى ، قال الامام مالك : « فى القوم يأتون البيت فيسرقون منه جميعا فيخرجون بالعدل يحملونه جميعا او الصندوق او الخشبة او بالمكتل او ما أشبه ذلك مما يحمله القوم جميعا ، إنهم إذا اخرجوا ذلك من حرزه وهم يحملونه جميعا فبلغ ثمن ما خرجوا به من ذلك ما يجب فيه القطع وذلك ثلاثة دراهم فصاعدا فعليهم القطع جميعا وقال : اما من لم يخرج منهم بما تبلغ قيمته ثلاثة دراهم فلا قطع عليه » (٨) اما أبو حنيفة فيشترط للقطع أن يكون النصاب عشرة دراهم (٩) ، فاذا كان احدهم قد سرق أكثر من عشرة قطع ومن سرق دون ذلك لم يقطع .
خامسا : كذلك فى الأحوال التى يوجد فيها سبب اباحة ، فان نظرية الاستعارة الاجرامية تمد أثره الى جميع المساهمين فى الجريمة فيستفيد منه الشريك فى حين أن نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تجعل بعض المساهمين يستفيد من سبب الاباحة دون البعض الآخر .
فشريك الأب فى قتل الابن يجب عليه القصاص لأن مشاركة الأب لم تغير صفة العمد فى القتل فلم يسقط القود عن شريكه ، كمشاركة غير الأب (١٠) . والمعروف انه فى الشريعة الاسلامية لا يجب القصاص على الأب بقتله ولده ، ولا على الأم بقتل ولدها ، لما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يقاد الأب من ابنه ، فاذا ثبت هذا فالأثبت فى الأم لانها كالأب فى الولادة .
سادسا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة من يشترك فى جريمة تقع كلها خارج اقليم الدولة : وهو الفرض الذى لم يتناوله قانون العقوبات الحالى ، فمن يحرض وهو فى مصر شخصا غير مصرى يقيم فى الخارج علي ارتكاب جريمة فى البلد الذى يقيم فيه لا يعاقب اذا وقعت هذه الجريمة .
وهو نفس الوضع فى قانون العقوبات الفرنسى ، ففعل الاشتراك الذى يقع فى فرنسا وتكون الجريمة قد وقعت كلها فى الخارج — لا يعاقب عليه الشريك (١١) . وقد كان هذا الوضع من بين الأسباب التى أدت الى تعديل وصف جريمة اخفاء الاشياء المسروقة سنة ١٩١٥ فى قانون العقوبات الفرنسى بجعلها جريمة مستقلة واخراجها من نطاق الاشتراك (١٢) .
اما طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان فعل الشريك اذا كان معصية عوقب عليه بعقوبة تعزيرية .
سابعا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك حتى ولولم يكن المشرع يعتبر الفعل الذى ساهم فيه جريمة ، مثال ذلك الانتحار فهو ليس محرما فى تشريعات عديدة منها قانون العقوبات المصرى الحالى وقانون العقوبات الفرنسى والبلجيكى والألمانى ومن ثم فان الشريك سواء تم اشتراكه بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة لا يسأل عن اشتراك فى جريمة لأنه ليست هناك جريمة .
أما فى الشريعة الاسلامية فإن تحريض شخص أو مساعدته على الانتحار معصية يعاقب مرتكبها بعقوبة تعزيرية .

ولعل من اهم النتائج التى يسفر عنها تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة انها تمكن من العقاب على الاشتراك فى الزنا باعتبار أن فعل الشريك سواء كان تحريضا على الزنا أو مساعدة عليه أو اتفاقا بشأنه هو معصية لا شك فيها يعزر مرتكبها بعكس القوانين الوضعية التى لا تعاقب عليه لأن القواعد الخاصة بالاشتراك لا تنطبق على جريمة الزنا ، فمن يحرض زوجة على ارتكاب الزنا مع شخص ما لا يعاقب عن اشتراك فى الجريمة اذا ضبطا متلبسين لأن الاشتراك فى الزنا خاص لا يتم الاستناد فيه الى المبادىء العامة الواردة بالمادة ٤٠ عقوبات مصرى (م ٦٦ و ٦٧ عقوبات بلجيكى) (١٣) فالذى يمكن معاقبته فقط هو الفاعل مع غيره فى الجريمة المرتكبة من جانب المرأة الزانية (١٤) .

ثامنــا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك فى حالة مساهمته فى جريمة مما يتوقف اتخاذ الاجراءات فيها على شكوى . مثال ذلك أن يكون الفاعل فى جريمة السرقة ابنا سرق اباه أو زوجا سرق زوجته . فان الشريك سواء كان قد حرض على ارتكاب الجريمة أو ساعد على ارتكابها أو اتفق بشأنها يعاقب حتى ولو لم يتقدم المجنى عليه بشكوى لأن ما فعله الشريك هو معصية فى ذاته . وكذلك الحال فى جريمة الزنا التى يشترط لاتخاذ الاجراءات بشأنها التقدم بشكوى من الزوج المضرور .

تاسعــا : كذلك تمكن النظرية من معاقبة الشريك الذى يخلق حالة الدفاع الشرعى ، كأن يحرض شخص آخر على القيام بعمل ينطوى على استفزاز لشخص ثالث يدفع هذا الأخير الى مهاجمة من صدر منه الاستفزاز فما يكون من هذا إلا أن يقتله دفاعا عن نفسه ، كل هذا بتدبير من المحرض ، فطبقا لنظرية الاستعارة الاجرامية لا يعتبر فعل الدفاع الشرعى جرما وبالتالى فليس هناك نشاط أصلى معاقب عليه يستعير منه الشريك اجرامه . ولكن طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان الشريك الذى خلق بنشاطه حالة الدفاع الشرعى يعتبر مرتكبا جريمة يعاقب عليها .

وقد قضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى واقعة مماثلة بأن تحمل الزوجة دية عشيقها الذى مكنته من التخفى بمسكنها للاعتداء على زوجها فما كان من هذا الأخير إلا أن قتله حين هم بالاعتداء عليه لأنها هى التى عرضته للقتل وتسببت فى ازهاق روحه . وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر للقتل لأن هذا القتل كان مأذونا به فى حالة دفاع عن النفس والحرمة ويقول ابن القيم : « فهذا من أحسن القضاء الذى لا يهتدى اليه كثير من الفقهاء وهو الصواب » (١٥) .

النظرية فى الفقه والتشريع الغربيين :

هذه هى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة وتطبيقاتها فى الشريعة الاسلامية أما فى الغرب فقد ظهرت النظرية لأول مرة فى المؤتمر الدولى لقانون العقوبات الذى انعقد سنة ١٨٩٥ فى مدينة (Linz) اى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من ظهور النظرية فى الشريعة الاسلامية حيث اقترح كرارا بمناسبة مناقشة موضوع المساهمة فى جريمة قتل الأصول ، الاهتمام بدراسة المتهم وليس الجريمة التى ارتكبها والتى ليست فى الواقع سوى الفرصة التى أتاحت الامساك به .

وقد لاقت هذه الأفكار ترحيبا فى كثير من الدول التى بادرت الى الأخذ بها فى تشريعاتها العقابية ومنها قانون العقوبات النرويجى الذى وضعه الفقيه (Getz)

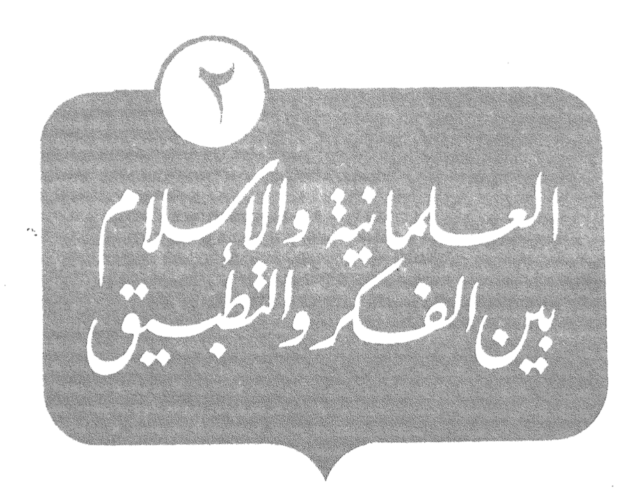
سنة ١٩٠٢ والذى صرح بانه طالما لا يجوز مساءلة الشخص إلا عما ارتكبه شخصيا كما تقرر ذلك المبادىء العامة ، فانه يجب كذلك الا يسأل الشريك إلا عما قام به شخصيا من افعال بصرف النظر عن افعال غيره ممن ساهموا معه فى الجريمة .

وقد أخذت بهذه النظرية بالاضافة الى قانون العقوبات النرويجي الصادر سنة ١٩٠٢ ، قانون العقوبات الايطالى الصادر سنة ١٩٣٠ ،وقانون العقوبات السويسرى سنة ١٩٣٧ ومشروع قانون العقوبات الفرنسى سنة ١٩٤٣ ، وقانون العقوبات المكسيكى سنة ١٩٣١ والبرازيلى سنة ١٩٤٠ والدانمركى .

كذلك ايد هذه النظرية جانب كبير من الفقهاء مثل فويرباخ وكرارا وفون لست ونيكولا دونى (١٦) وبالرغم من الانتقادات التى وجهها انصار نظرية الاستعارة الى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان ذلك لا يحول دون التسليم بان هذه النظرية قد حققت مزايا كثيرة تعتبر من عناصرها الأصلية بعكس نظرية الاستعارة التى لجأت الى اصطناع حلول أو بالأحرى استعارتها بالرغم من انها تتعارض اصلا مع منطقها والملاحظ بصفة عامة أن سلطان نظرية الاستعارة سواء كانت مطلقة أو نسبية قد بدأ ينحسر لأن التشريعات العقابية لم تعد اليوم كما كانت بالأمس تميل الى اعتناق نظرية أو مذهب معين بشأن وضع الشريك فى الجريمة ، فالتطور المستمر الذى تمر به التشريعات جعلها تستمد القواعد التى تتلاءم مع سياستها العقابية من مختلف النظريات بحيث لا يتاح للشريك ان يفلت من العقاب نتيجة استفادته من التغييرات التى توجد فى النظرية الواحدة ، وقد أدى هذا التطور الى افقاد نظرية الاستعارة الاجرامية لكثير من الأرض التى كانت تقف عليها لمصلحة نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التى اتسعت الرقعة التى تسيطر عليها من قانون العقوبات . فلعل هذا يشجع رجال الفقه وشراح القانون المسلمين على اعادة النظر فى موقفهم من احكام الشريعة الاسلامية وأعمال الفقهاء المسلمين التى تثبت كل يوم اصالتها وتؤكد دقتها وسلامتها .

---

(١) انظر مزيدا من البيانات ، جاك ليوتيه : المساهمة الأصلية ، الاشتراك والتحريض فى القانون الفرنسى ، المجلة العقابية السويسرية سنة ١٩٥٧ ، ص ١ وما يليها .
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٧ .
(٣) المهذب جـ٢ ، ص ١٧٨ .
(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٣٩٦ .
(٥) الهداية ، جـ ١ ص ١٠٣ .
(٦) المهذب ، جـ ١ ص ١٢٧ .
(٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٤٣٦ .
(٨) الموطا ص ٥٢٢ .
(٩) الهداية ، جـ ٢ ص ١١٩ .
(١٠) المهذب ، جـ ٢ ص ١٧٥ .
(١١) فيدال ومانيول : دروس فى القانون الجنائى وعلم العقاب جـ ١ ص ٥٦٨ .
(١٢) دالوز جـ ١ ، قسم ١ ص ٤٥٥ وما يليها .
(١٣) نيبلس ، قانون العقوبات البلجيكى فقرة ٣٨٩ رقم ٩ .
(١٤) جارو الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات الفرنسى جـ ٤ رقم ٥١٧ .
(١٥) محمود الباجى ، المرجع السابق ص ٨٤ .
(١٦) بوزا : الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات جـ ١ رقم ٧٢٨ ص ٤٩٤ .



العلمانيّة في مرحلتها الثانية في الفكر الأوروبي وهي تمثل الاستئثار بالسلطة

للدكتور محمد البهى

٢ ــ المرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشر : ــ

وهى مرحلة العهد المادى ، او ما يسمى « بالثورة العلمانية » .. مرحلة الجناح اليسارى من مدرسة هيجل فى القرن التاسع عشر .
وقد قيم مؤرخ الفلسفة .:K. Lowith (فى كتابه : Von Hegel Bis Nietzsche) « من هيجل ــ الى نيتشة » سنة ١٩٥٠) اصحاب العهد المادى والثورة العلمانية بأنهم قد انحرفوا فى التوجيه ، ونقلوا معارفهم الأكاديمية الى المعارف الصحفية ،

تحت ضغط الظروف الاجتماعية . واصبحت وظيفتهم هي وظيفة الكاتب : يقع تحت التبعية المستمرة للناشرين ، ومن يعطون المال ، والجمهور ، والرقابة . وكتابتهم هي : بيانات ، وندوات ، وبرامج ، وادعاءات . ومظهرهم العلمي اصبح تبليغا حماسيا للناس ، كما اصبحت لهجتهم تنطوي على الاثارة .

ولكن كتابتهم لا تترك الا ذوقا قليل الطعم . لأنهم يدعون ادعاءات عريضة لا حدود لها ، مع فقر وسائلهم . والعالم بعد سنة ١٨٣٠ اصبح قبيحا وفاسدا . ولو قيس العقل الجديد في عهد الثورة العلمانية بمقياس تاريخ العقل عند هيجل .. لعد نمطا من تحويل الفكر الى همجية وبربرية . اذ اصبح مضمونه الآن : عجرفة .. وميولا فاسدة .

* فيرباخ Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) :

ويعتبر من اهم المؤسسين لفكر الثورة العلمانية في القرن التاسع عشر : فيرباخ . اذ يمكن للانسان عنده : أن يدرس مرحلة الانتقال من دين ارضي طبيعي صاف بعيد عن السماء .. الى المادية المتطرفة . فقد بدا واضحا : **انه يشلح الاله المسيحي تاجه ، ويطيح بالثنائية بين الدين الغيبي والعالم المشاهد ، وكذلك بين الكنيسة والدولة** . وذلك في رسالته التي كتبها عن هيجل .

وفي نقده لفلسفة هيجل في سنة ١٨٣٩ : تحدث عن عدم الجدوى من فكرة (المطلق) — وهي الله — وذكر أن المطلق عند هيجل ليس الا العقل المفارق للاهوت .. ذلك العقل الذي يشبه في فلسفته (هيجل) : الخيال الطائف .

وفي رسالته : « لإصلاح الفلسفة ، والمبادىء الأساسية لفلسفة المستقبل » .. سار قدما في الطريق .. نحو الايمان بالمحسوس وحده ، وبالمادية الهوجاء . وبالأخص فيما كتبه في هذه الرسالة تحت عنوان : « طبيعة المسيحية » سنة ١٨٤١ .

والمذهب المثالي عند هيجل — في نظر فيرباخ — ليس الا غطاء للاهوت « ومن لا يتنازل عن فلسفة هيجل ، لا يتنازل عن اللاهوت » . فرأي هيجل — في نظر فيرباخ — بأن الواقع والطبيعي نشأ عن « الفكرة » هو التعبير العقلي في تعاليم اللاهوت : بأن الطبيعة نشأت عن الله . ويقول — متحديا ذلك — : إن الدين اللانهائي ، وكذلك الفلسفة ، ليس في الواقع الا تحديا حسيا نهائيا ، ولكن فيما وراء الضوء . فبداية الفلسفة لا يمكن أن تكون الله ، او الوجود بدون موجود . ولكن بدايتها فقط : النهائي ، والمحدد ، والواقع . **ويجب ان تكون المادية ، او مذهب الحس** في موضع الدين الغيبي (اى الموحى به من عند الله) وفيما وراء الطبيعة . والواقعي ، والحقيقي ليس : الله ، ولا الوجود بدون الموجود ، ولا : المفهوم والمعنى . ولكن الموجود : هو المحس .

والانسان هو الموجود الالهي ، وليس الله . والدين الجديد هو : السياسة بالطبع ، وليس المسيحية . والسياسة يجب أن تكون ديننا . ولكن لا يتحقق ذلك الا اذا كان هناك شيء أعلى في نظرنا يحول السياسة الى دين . وهذا الشيء الأعلى هو : الانسان . ولكن ليس الانسان الفرد . لان الانسان الفرد يظل دائما انسانا أرضيا مفتقرا . ولذا يجب أن تكون : « جماعة العمل » ، هي المعبود وفي مكان العبادة .

والله ، والدين ليس اى منهما اساس الدولة . وانما اساسها : الانسان وحاجته . ليس الايمان بالله ولكن الشك في الله يجب أن يكون العامل في قيام الدولة . والايمان الذي يجب أن يتوفر هو : ايمان الناس بذواتهم انفسهم وببعضهم

بعضا . لانه اذا بقى الله هو السيد ، والرب .. فان الانسان سيظل واثقا به ، بدلاً من ان يثق بالناس . والباقى لنا هو الانسان وحده .

ولهذا : فالدولة هي مضمون الواقع كله .. هى الطبيعة العامة او الانسانية .. هى الحامية والواقية للانسان . **وبهذا تصبح الدولة** مناقضة للدين . **« وان الالحاد العملى هو الرباط بين الدول »** .

والناس يلقون بأنفسهم على السياسة فى الوقت الحاضر — هكذا يذكر فيرباخ — لأنهم يعرفون : أن المسيحية كدين تشل فاعلية الانسان السياسية . وتسمى هذه النظرة — من جانب اتباع فيرباخ — التى تنقل الانسان الى مكـــان الله فى العبادة ، وتقام الدولة عليها ، وتصنع التاريخ : بالمذهب الانسانى الالحادى .. !

* ماركس Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) :

وفيرباخ يعتبر معبد الطريق التى سلكها كارل ماركس مع زميله : انجلز ، نحو تأسيس ما يسمى بالمادية التاريخية ، الاستنتاجية : (Dialekisch) . وتعود تلامذة ماركس بأن يلقبوه : « بأبى الاشتراكية العلمية » . وماركس تأثر اولا بفلسفة هيجل ، ثم عن طريق تأثره « بفيرباخ » .. تحول الى اليسار المتطرف لفلسفة هيجل . وقد درس الاشتراكية أيضا فى فرنسا ، وتعرف هناك على « انجلز » . وعن طريقه ذهب الى انجلترا ، ودرس المشاكل الاقتصادية ، كما تأثر بالأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت للطبقة العاملة هناك . وفى سنة ١٨٤٨ وضع : « البيان » الشيوعى فى مدينة بروكسل ، بالاشتراك مع «انجلز» .

وتآليفه : العائلة المقدسة ، والايديولوجية الالمانية ، وشفاء الفلسفة ، وراس المال . وقد نعت ماركس نفسه : بأنه تلميذ لهيجل عكس عليه وضـــع فلسفته : فهيجل نظر الى العالم من « اعلى » لأن « الفكرة » عنده هى مبدأ العالم ، وما عداها تابع فى الظهور لها ، أو لما يسمى : بالمفهوم ، أو بالعقل العام . والطبيعة المادية هى عنده صفحة أخرى « للفكرة » وحدها . بينما يرى ماركس : أن الحقيقة المادية وحدها هى بداية العالم ، وهي كذلك : الواقع الصافى الجازم ، وما عدا الحقيقة المادية مما له طبيعة : « الفكرة » كالعادة ، والخلقية ، والقانون والدين ، والثقافة .. هو تابع فى الظهور الاضافى لتلك الحقيقة المادية .

و « المادية » عند ماركس تختلف عن « المادية » عند الآخرين من اصحاب اليسار من تلامذة هيجل .. حتى عن « المادية » عند فيرباخ : استاذه ومعبد الطريق له .. المادية عند ماركس هى المادية **العملية ، التاريخية ، الالحادية .**

وفى نقد ماركس للمادية عند فيرباخ يرى : أن المادية التى قال بها فيرباخ هى : عوض عن المذهب الحسى ، الذى ينظر الى العالم الطبيعى على انه مجعول يقبل قبولا سلبيا ، وليس على انه انتاج للعمل الانسانى المحسوس (الاقتصاد) أو على انه يدرك : على انه عمل .

والنظرة المادية لماركس هى نظرة راديكالية (متطرفة) استخدم فى شرحها عدة مبادىء من فلسفة هيجل .. استخدم فيها :

اولا : — مبدأ الباعث على التطور الدائم ،

وثانيا : — مبدأ رفع المتناقضات ،

وثالثا : — مبدأ التقدم نحو جديد ، وان لم يكن احسن .

.. كما اختار التطبيق « الثلاثى » فى فلسفة هيجل (وهو الدعوى ، ومقابل الدعوى ، والجامع بينهما) مجال : النظام الراسمالى كدعوى ، والطبقة العاملة

كمقابل للدعوى ، والمجتمع الشيوعى اللاطبقى كجامع بين الدعوى ومقابل الدعوى .

ويسبب هذا الاختيار يعتبر كارل ماركس (ثوريا) وليس فيلسوفا . اذ الفلسفة فى نظره : وسيلة مختارة لاتجاهاته السياسية .

والمادة التى تقصدها المادية الماركسية ليست مادة بعيدة عن النشاط الانسانى . فالمادة التى تحدد — فى رايه — النظرة الى العالم ، او الى التاريخ ، وكذلك ما يحدد على العموم : التفكير ، والعمل ، والسلوك للانسان .. هى مادة متصلة بنشاط الانسان ، أو هى انسان فى صلته بالمادة (هى الاقتصاد) .

* ماركس والمسيحية :

ويرى ماركس : ان هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الانسان فيه سيد نفسه . ولكن لا ترفض المسيحية وحدها ، **بل معها يرفض كل دين كذلك** . اذ الدين يسلب الانسان وعيه بمأساته وشقائه فى الوقت الذى يمنيه فيه بعالم افضل . « ان الدين هو افيون الشعب » . ولذا — فى نظر ماركس — يجب أن يذكر الشعب دائما : بأن الدين ليس انتاجا للانسان . انه تفكير الانسان واحساسه ، ذلك الانسان الذى لم يتكسب بعد ، أو الذى أصبح بالفعل ضائعا .

وفى نظر ماركس : الطبقة التى تملك ، والأخرى التى تعمل ، كلتاهما تمثلان وضعا شاذا فى الانسانية . ولكن الراسمالية — كما يرى — تحس نفسها بخير فى عدم انسانيتها .

وهنا تنشأ مهمة الطبقة العاملة ، وهى : ان لا تخدع بالدين، وان لا تتراخى فى الصراع ضد الراسمالية بسببه . فهذه الطبقة العاملة يجب أن تكون على ذكر دائم بمأساتها ، كى تزيل وضعها الشاذ فى الانسانية ، كما تزيل ذلك الوضع الشاذ الآخر للراسمالية فى الانسانية .

وايمان كارل ماركس بفكرة التقدم (التقدمية) — كما كان الحال فى القرن التاسع عشر يرجع الى عاملين :

العامل الأول : — ما توحى به فلسفة هيجل بأن كل تطور هو تقدم ، اى هو خطوة الى الامام ، وان لم يكن ليس بلازم أن يكون أحسن .

العامل الثانى : — أن مدح التقدم والتبشير به يعتبر من عدة (التاثر) . وماركس كان ثائرا اكثر منه فيلسوفا .

وتتلخص الماركسية — وهى العناية بفلسفة ماركس ، وانجلز — فى عدة مبادىء :

المبدا الأول : — المادية التاريخية ، الاستنتاجية ، من الوجهة الفكرية والنظرية .

المبدأ الثانى : — الالحاد ، واستخدام المنهج العلمى فى تحقيقه ،

المبدأ الثالث : — صراع الطبقات ، للوصول الى مجتمع لا طبقى .

وتتبع هذه المبادىء عدة موضوعات أخرى فى الاقتصاد ، على نحو ما نذكر فى كتاب « راس المال » . واهمها ما يخص فائض القيمة ، الذى هو الفرق بين ما يدفع للعامل من رجل الصناعة ، وما تباع به السلعة المصنعة فى السوق الحرة .

ويرى ماركس فى فائض القيمة : أن الراسماليين يدفعون للعامل اجرا ، على نحو يحفظ له قدرته على العمل فقط — ويسميها ماركس بالقيمة الخادعة — بينما قيمة الربح فى انتاج العامل فى السوق الحرة أكثر من ذلك . وفائض القيمة يخفيه الراسمالى . وهنا يكون معنى الراسمالية مساويا لمعنى الاستغلال للعامل . والراسمالى يرغب فى ذلك ، لأنه يملك وسيلة الانتاج . والراسمالى

من غير أن يجهد نفسه فى عمل .. يصل عن طريق استغلال الشعب العامل الى تكديس الثروة باستمرار . ولكن هذا التكديس نفسه ــ كما يتنبأ ماركس ــ سيؤدى الى الاكراه على نزع الملكية الخاصة من المكدسين .

لأن هؤلاء المكدسين هم الذين أوجدوا الطبقة العاملة ، ثم عن طريق هذا التكديس عكسوا الآية فأساءوا الى العمال .

واذا صارت الطبقة العاملة على وعى بوضعها اللاانسانى فانها ستتقدم الى الكفاح : فتمسك بسيطرة القوة ، وتنزع الملكية الخاصة ، وتبعد التناقض القديم بين الراسمالية والطبقة العاملة ، وتذيب هذا التناقض فيما يجمع الطرفين ، وهو المجتمع اللاطبقى .

وهذا هو اتجاه الماركسية الأرثوذكسية التى تعرف بالبلشفية فى الوقت الحاضر .. وهو المفهوم الذى اعطاه لينين ــ واستالين من بعده ــ للماركسية .

* ولكن هناك جناح آخر للماركسيين فى غرب أوربا ، وهو الجناح المعتدل أو المتئد .. هو جناح غير المقلدين من الذين يستخدمون : الاختبار والامتحان فى قبول النظريات أو فى رفضها .. هم من يعرفون بجناح الـ : Revisonistes

وقد يوصفون بالمرتدين تنديدا بهم ، من امثال : E. Bernstein, K. Kautzky
K. Vorlandes

وهذا الجناح ترك فلسفة ماركس فى التطبيق ، لانها فى نظره تقوم على ادعاءات لا دليل عليها . ثم يعنى بتحسين الوضع الاجتماعى للعمال ، كعمال . فالحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا تنازل بصراحة عن المادية التاريخية . والمنظمات العمالية الاشتراكية فى : فرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، وانجلترا ، واسكندنافيا .. يصدرون الآن فى نظرتهم الى تحسين الوضع العمالى عن مبادىء فلسفية واقتصادية أخرى .

* واسس التفكير الفلسفى الماركسى تمثل فى واقع الأمر نظرة القرنين : السابع عشر ، والثامن عشر .. الى العالم . وهى النظرة الميكانيكية ذات الصلة بعصر التنوير فى فرنسا ، وبالمذهب الوضعى ، وبالمادية فى البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر .

وقد قذف الماركسيون بأنفسهم الى .. مادية البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، كما تقذف صبية الفلاحين الى مصنع فى مدينة كبيرة . وهنا يفهم : إنه هنا كانت كذلك : (ثورة) فقد اعتاد الانسان (الماركسى) : ان :

ا ــ يرجع العقل .. الى العاطفة ،
ب ــ والاخلاق .. الى المنفعية ،
.. واعتاد ان ينظر :
ا ــ الى الانسان .. على انه حيوان فى مستوى اعلى ،
ب ــ والى الشعب .. على انه كومة من الخلايا ــ أو الذرات الانسانية ــ بحيث لا يحكمها هنا الا ذلك القانون الطبيعى ، وهو قانون : الضغط ــ والدفع ، أو السبب ــ والمسبب .

ولكن النظرة التى قامت عليها : مادية البحث الطبيعى ، وهى النظرة الميكانيكية .. اصبحت الآن خارجة عن دائرة الاعتبار . لأن هذه النظرة ترى : أن الوجود ذو جانب واحد ، بينما هو متعدد الجوانب . فالانسان يبدو فى طبقات الحياة النباتية والحيوانية ــ دون ما عداه فيها ــ صاحب امكانيات عديدة ــ ولذا : فله من طبيعته : الحرية والمشيئة والاختيار . ومن اجل ذلك يمكن ان يقال : ان حتمية السببية ــ والسببية هى اصل النظرة الميكانيكية ــ للطبقة العضوية

هى ظاهرة احصائية فقط . اى ليست ظاهرة صحيحة بالنسبة لطبيعة الانسان .
وكما نقدت هذه النظرة الميكانيكية للبحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، والتى تأثر بها ماركس فى مذهبه المادى التاريخى .. نقد أيضا أساس ما تميزت به : « ماديته » وهى المادية العملية .. نقد ذلك الادعاء الذى يرى : أن الاقتصاد هو اصل الوجود الفكرى ، والنفسى ،والاجتماعى ، والمادى :
فقد وضع ماكس ويبر .MARX WEBER (١٨٦٤ — ١٢٩١) فيما سبق ان اشرنا — فى كتابه . « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة اجزاء — ١٩٢٠) .
أ — ان الدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود .. لم يقم على أساس اقتصادى ، كما يحاول ماركس : أن يشرح كل شىء فى الوجود .. حتى الدين ، والأخلاق ، والفكر .. من الاقتصاد . ولكن الفكرة الدينية وحدها فى هذه الأديان الثلاثة هى التى حددت البناء الاجتماعى لشعوب هده الاديان .
ب — وان التفكير الكنسى كان له تأثير على المجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى ،
جـ — وان الراسمالية المعاصرة قامت على الايديولوجية الخاصة بـ كالفن .Calvin (١٥١٩ — ١٥٦٤) ، وتحت تأثير اصحاب « النزعة الخالصة » فى المسيحية من البروتستنت ، فى انجلترا منذ القرن السادس عشر Puritaners وليست الراسمالية هى التى خلقت هذه الايديولوجية .
ويستمر « ماكس فيبر » فى نقده لفكرة نشأة الوجود عن الاقتصاد فى مادية كارل ماركس فيتساءل :
د — هل يمكن أن تكون الحقائق الرياضية ، والمنطقية تابعة لأسس مادية ؟
هـ — اليست هذه الحقائق هى هى ، فى كل وقت ، وفى كل الظروف ؟
* لينين فى تطبيق الماركسية (١٨٧٠ — ١٩٢٤) :
ان ماركس كان ذا صلة بالثوار الروس منذ وقت سابق . وفلسفته منذ سنة ١٨٧٠ كانت تناقش وتدرس فى روسيا . والمؤسس فى الواقع للماركسية الروسية هو .Pechanow (١٨٥٦ — ١٩١٨) عندما كان مهاجرا بجنيف . ففى سنة ١٨٨٠ اسس اول مجموعة ماركسية فيها ، تسمى نفسها : « رابطة تحرير العمل » . وتبع تأسيس هذه المجموعة قيام مجموعات اخرى على غرارها فى روسيا . وانضم بعضها الى بعض تحت شعار : « اتحاد الكفاح من اجل تحرير الطبقة العاملة » .
وفى سنة ١٨٩٨ عقد اول مؤتمر للماركسيين فى مدينة مينسك .Minsk ، وعقد المؤتمر الثانى فى بروكسل — ولندن سنة ١٩٠٣ .
ولينين هو الذى حول الماركسية الى عقيدة للحزب . واصبحت الماركسية تسمى بالبلشفية فى عالم السياسة ، بينما تسمى بالمادية الاستنتاجية فى عالم الفلسفة . والبلشفية اذن **هى « الدين الجديد » بديلا عن المسيحية .**
وفى نظر لينين يجب ان تخدم الفلسفة « الواقع » . **والواقع — عنده — هو: « الحزب »** . وفى مقال له تحت عنوان : « الاشتراكية والدين » كتب : « **ان الدين هو افيون الشعب . وان الدين نوع ردىء من خمرة العقل التى تحجب ذاكرة الأرقاء لراس المال : عن أن يموا وجه انسانيتهم ، ومطالبتهم فى : وجود انسانى ، على منتصف طريق الانسانية .**
ومع هذا : فالرقيق الذى يكون على وعى برقه ، ويقوم للكفاح من اجل تحرير نفسه .. انما يكون قد وصل الى منتصف الطريق نحو الخلاص والتحرر

النهائى . **والعامل الحديث الذى يكون على وعى بطبقيته ، والذى تخرج فى المصنع الكبير وعلى بصيرة بطريق حياة المدنية .. يبعد عن نفسه بكل احتقار : الامتيازات الدينية ، تاركا للسماء .. اصحاب الدرجات العالية من القساوسة ، ومن المدنيين الصالحين ، من اجل استخلاص حياة افضل على الأرض هنا .**

واذ يوافق لينين على انه يجب أن يكون الدين امرا شخصيا ـ كما هو متعود أن يقال فى دائرة الماركسيين ـ فانه يوافق فقط **بالنسبة للدولة ووضعها . اما الحزب فيجب ان يمارس اعضاؤه الالحـاد . اذ الحزب عدو لدود للدين .** اما الدولة فيجب ان تكون محايدة ، على معنى : انها لا تهتم بالدين ، وأن لا ترتبط به ، وأن يكون عديم المغزى لديها بالنسبة للمواطن فلا تسأله عن مذهبه الدينى . **وحياد الدولة بالنسبة للدين هو انفصال كامل بين الكنيسة والدولة .**

*****

وفى مرحلة العلمانية المتطرفة ، أو ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل ، نرى :

اولا : ـ أن « علمانية » فيرباخ ـ وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانى الالحادى ـ هى : الغاء الدين ، اىّ دين ، وليست فصلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى ، واحلال « الانسان العام » (جماعة العمل) فى العبادة محل الله .

وثانيا : ـ ان علمانية ماركس ـ وهى التى تتمثل فى المادية ، التاريخية ، الالحادية ـ هى : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين .

وثالثا : ـ ان علمانية لينين ينتهى امرها الى الغاء المسيحية كدين ، ووضع البلشفية ـ وهى الماركسية اللينية ـ كدين جديد ، بدلا منها . وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة (الواقع) الذى هو (الحزب) . والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان (العبادة) عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة .

*****

* وهنا نجد ـ بعد استعراض مجمل لاهم خصائص الفكر الفلسفى العلمانى فى أوربا ـ

اولا : ـ ان دافع « العلمانية » فى القرنين السابع عشر ، والثامن عشر كان هو : **التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة .** ولذا كان الفصل بين السلطتين هو : الحل الفلسفى ، أو الرسمى لهذا التنازع .

ثانيا : ــ ان الدافع عليها فى القرن التاسع عشر ، او فيما يسمى بين اليسار الثورى أو المتطرف فى مدرسة هيجل ، **هو الاستئثار بالسلطة** . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى « السلطة المنفردة » التى هى سلطة « جماعة العمل » أو « المجتمع » أو « الدولة » أو « الحزب » ، حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

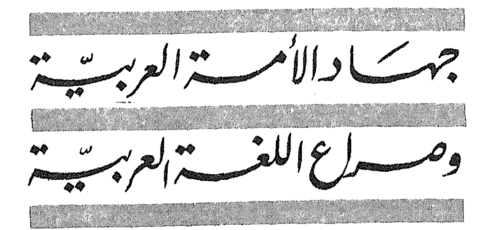
ثالثا : ــ ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرات ارباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن اى راى يصدر منها .

رابعا : ــ ان الفكر الفلسفى العلمانى ــ سواء فى مرحلته الأولى ، او الثانية ــ لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض . فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز ، أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الاولى ، كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ ، والمادية التاريخية عند ماركس ، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر سواء : أكانت اسسا تنتمى الى البحث الطبيعى او الى دائرة الاقتصاد . وابرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من اتباع : برنشتين Bernsein. الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين .. بالمرتدين . ثم ما قام به فى القرن العشرين من معارضة : الفيلسوف الاجتماعى الالمانى : ماكس فيبر لأساس الاقتصاد بصفة خاصة . وبلغ من تأثير ما نالته المعارضة من هذا الاتجاه المادى : ان اصبح يوصف فى الفكر الأوربى نفسه « بالثورية » دون أن يوصف « بالفلسفى » .. الأمر الذى يدل على أنه يعبر عن عاطفة وحماس ، أكثر منه تعبيرا عن فكر وتأمل .

خامسا : ــ ان الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى ــ فى مرحلتيه ــ وهو : انجلترا ، وفرنسا ، والمانيا : لم يأخذ بالاتجاه العلمانى ، فى التطبيق فى الحياة العملية . فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عملية . والدولة فى انجلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمانيا ــ رغم اعلان انها علمانية ــ تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجبيها من المواطنين ، مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية ، وبعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها .

والجانب الآخر الذى يتبنى البلشفية كدين وكسياسة ، بدل المسيحية ، فى أوربا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة « التعايش السلمى فقط » مع الرأسمالية الغربية .. وانما يأخذ كذلك بسياسة « حسن العلاقات » مع دولة الفاتيكان ..

للبحث بقية



وجهان لمعركة واحدة

للدكتور مازن المبارك

ـ ما اشبه اللغة العربية بالعرب، وما أشد ارتباطها بهم .

ـ انها مثلهم ، تتعرض لما يتعرضون له من نكسات ، وتواجه ما يواجهون من هجمات ، النكسات التى تصيبها والدعوات المنكرة التى تريد القضاء عليها كالأمراض الموسمية ، تهدأ حينا حتى تقول انها تلاشت ، فاذا هى مستطلة تصول وتجول .

تكمن حتى تظن أنها انطفأت ، فاذا هى مشتعلة تتأجج .

ـ ليس فى هذا شىء من العجب.

الجسم القوى هو وحده الذى يتصدى للعلة ، يتحداها ، تغالبه فيغلبها ، تقوى عليه فيستعلى عليها ، تصارعه فيصرعها .

ـ لكن العجب ان مواسم « النوبات المرضيّة » وأوقات « الصرع » الذى يصيب الطاعنين والمهاجمين تتفق بالمصادفة وبشكل عجيب مُحكَم ومواسم الهجمات العلنية العنيفة على امتنا ووحدتها .

ـ ويبدو اننا نعيش الآن عصر « نوبة » من تلك « النوبات » الموسمية ، ولم لا ؟ فالفرصة مواتية ، ان الأمة تخوض معركة مصيرها

تجنّد كل طاقاتها لمعركة البقاء ، هذه « افضل » فرصة لنوبة المرض، وبة الصياح والسخط على اللغة وعجزها وفقرها .

— إن كل ما فى الجوّ من دلائل واضحة وخفيّة ليدل على أن المركتين ، معركة الأمة ومعركة اللغة ، هما معركة واحدة ، أو هما وجهان للمعركة الواحدة .

— وليس موقفا سليماً ولا بريئاً ان نفصل او نوهم بالفصل بين المعركتين، ولا يفصل بين هذين الوجهين للحقيقة الواحدة إلا غبى ساذج او خبيث مخادع .

— إن احد الوجهين ان يغزونا الغرب بجيوشه فى الحملات الصليبية واما الوجه الآخر ، الوجه الأخطر ، فأن يغزونا بالثقافة والفكر .

ينال «بالفكر» ما تعيا «الجيوش» به

كالموت مستعجلا يأتى على مهل !

وإنه لخطأ فاضح ان يدّعى ان الثقافة أمر عام لا يعرف القومية ، وانها « أممية » فى عناصرها ومقوّماتها . ثقافة الأمة مرآة لكل ما تتميزّ به من خصائص وما تتصف به فى تاريخها وتراثها . وليس هنا مجال التفصيل فى هذا الأمر وشرح أبعاده .

— كان فى مقدمة الأهداف التى سعى الغرب الى تحقيقها فى البلاد العربية القضاء على اللغة العربية الفصحى فجنّد ما استطاع من إمكانات لإضعاف هذه اللغة فى مصر والمغرب العربى خاصة وفى سائر البلاد العربية عامة .. وهو يفعل ذلك وما زال لا لمجرد صراع لغوى ينتهى الى إحلال لغة محل اخرى ولكنه يفعله على علم وبصيرة ويقين من ان اللغة العربية ليست كسائر اللغات ، إنها بالنسبة الى العربى قوام حياته وعصمة بقائه .

إن «زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى او المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ولا يعصمه ان يذوب فى غمار الأمم ، فلا يبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان » (١) وبقدر علمهم هذا وبصيرتهم هذه ويقينهم هذا كان عنف هجومهم ومكر اساليبهم وخفاء هدفهم .

— واذا كان لا يعنينا ان نردّ على الذين كشفوا القناع عن غاياتهم واسفروا عن وجوههم ونيّاتهم إيماناً منا بإخفاقهم وانكشاف أمرهم فانه لواجب ان نكشف نحن الستر عن الذين اختفوا وراء شعارات زائفة كالذين ادعوا أن اللغة العربية صالحة للتعبير فى ميادين الأدب والشعر ، او انها لغة دينية او غير ذلك مما وصفوها به ولكنها ليست لغة علم وتعليم وليست لغة حضارة واختراعات .

— الم يلجأ « كرومر » الاستعمارى الانكليزى (شفقة) منه على الأمة العربية المتخلّفة الى فرض تعليم الحساب والعلوم والتاريخ والجغرافية (فقط !) باللغة الانكليزية

---

(١) العقاد اشتات مجتمعات ص ١٢٧ .

بحجة ان العربية لا تصلح للتعليم لأنها لا تملك ثروة لغوية تقوم بحاجة تلك العلوم . .

الم نسمع من امثال كرومر فى البلاد العربية من ينادى بترك العربية (الكلاسيكية) والتعبير مرة بالعامية، ومرة بالحرف اللاتينى ، ومرة بتبنّى لغة اجنبية تحملنا على الفاظها وجملها الى عالم العلم والحضارة !

إنها دعوات كثيرة منها ما عرف اصحابها اهدافها ونتائجها ، ومنها ما جهل اصحابها مؤداها ، ولكنها على كل حال دعوات خطيرة ، بعيدة المرمى ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

ونحن لا نكتب ما نكتب لأولئك الذين يعملون عن تصميم ماكر وهم يعلمون حقيقة ما يعملون له ، ولكنا نكتب للذين سلمت منهم الطويّة ، وحسنت منهم النيّة ، والذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

— لقد كانت اللغة العربية — ولا تزال — مظهراً رائعاً لوحدة الأمة العربية . وهى الراية الوحيدة التى ينضوى تحتها اليوم ملايين العرب من المحيط الى الخليج .

— والعربية هى الثوب التعبيرى الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لوحيه المنزل على قلب نبيّه المرسل ، فبلغت بالقرآن ما لم تبلغه لغة بكتاب . وكانت بالقرآن لغة البيان المعجز والاسلوب الآسر .

— لقد عاشت العربية مع اصحابها حياتهم وشاركتهم سرّاءهم وضراءهم .

— كانت لسان دعوتهم ، ومرآة حضارتهم ، ومستودَع تراثهم . وقام بينها وبينهم من الصلات ما لم يقم بين قوم من الأقوام ولغة من اللغات .

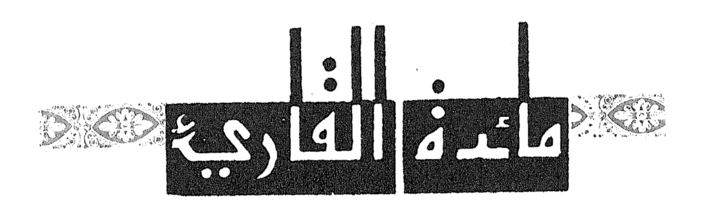
— وكلما ادرك اعداء العرب والمسلمين مدى هذه الصلة بين الأمة ولغتها ازدادوا ضراوة فى الهجوم عليها ، ومكراً فى الكيد لها .

— إنهم لا يهاجمون القرآن ، ولكنهم يهاجمون الأسلوب العربى « القديم » .

— انهم لا يصرّحون بقطع الأمة من ماضيها ، ولكنهم ينادون بتغيير اللغة التى كتب بها التراث والتى هى جسر الأمة الى ماضيها المجيد .

— إنهم لا يهاجمون وحدة الأمة ولكنهم يشجعون اللهجات المحليّة والألفاظ والتراكيب العاميّة .

— لذلك كله كان على علماء اللغة من عرب ومسلمين ان ينشروا الوعى اللغوى السليم . وقوام هذا الوعى ان العربية بالنسبة الى العرب ناظم وحدتهم ، وبالنسبة الى المسلمين لغة قرآنهم وسبيلهم الى فهم عقيدتهم ، وكما قال الإمام ابن تيمية « ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب » .



شـهادة ضمـان

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافـا خافوا عليهـم . فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

ــ صدق الله العظيم ــ

شـهادة استثمار

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثـل حبة انبتت سبـع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

ــ صدق الله العظيم ــ

سـورة البقـرة

عن ابى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ، وهم ذوو عدد فاستقراهم (طلب منهم أن يقرءوا) فاستقرا كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فاتى على رجل منهم من احدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان. قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة . قال : « أمعـك سورة البقـرة ؟ » قال : نعـم ، قال : اذهب فانـت اميرهم ..

ــ رواه الترمذى وقال حديث حسن

علامات السعادة ثلاث

١ ــ متى زيد فى عمـره نقص من حرصه .

٢ ــ ومتى زيد فى ماله زيد فى سخائه .

٣ ــ ومتى زيد فى قدرة زيد فى تواضعه .

علامات الشقاء ثلاث

١ ــ متى زيد فى عمره زيد فى حرصه .

٢ ــ ومتى زيد فى ماله زيد فى بخله .

٣ ــ ومتى زيد فى قدره زيد فى تكبره وقهره .

اجابـة حكيـم

وجهت الى حكيم الأسئلة التالية فاجاب عليها بما ياتى :

ــ كم عمرك ؟
ــ صحتي جيدة .
ــ كم وفـرت ؟
ــ ليس علي ديون .
ــ كم عدو لك ؟
ــ قلبى نظيف ولسانى عف .

حـق الحضانـة

جاء رجل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه أن يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا :
يا أمير المؤمنين حملته قبل ان تحمله ، ووضعته قبل ان تضعه .
فاجابت الأم قائلة :
يا أمير المؤمنين حمله خفيفا ، وحملته وقرا ، ووضعه شهوة ، ووضعتـه كرهـا .
فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولـد .

المحتكـر والمـدخر

المحتكر هو الذى يجمع ما لا حاجة له فيه بهدف التحكم فى الآخرين .
والمدخر هو الذى يحتجز لنفسه ما قد يحتاج اليـه فى المستقبـل ، وليس للآخرين حاجة فيه وقت ادخاره ، والاحتكار محرم ، والادخار عقل وحكمة .
عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« بئس العبد المحتكر ، أن ارخص الله الأسعار حزن ، وان اغلاها فرح » .

النصر أو القبـر

يروى التاريخ ان طارق بن زياد فاتح الاندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء امر بالسفن فاحرقت ، فاثار ذلك بعض رجال جيشه ، وقالوا له : لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم ، ووضع يده على السيف وقال :
« انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع ، أما أنا فقد عزمت على البقاء في هذا المكان والقتال ، فاما أن يكون لنا وطنا وأما أن يكون لنـا قبرا . » وكتب الله للايمان النصر .



ظهرت فى مطلع القرن العشرين مدرسة جديدة ، تشق بعقول المسلمين الى فهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام طريقا جديدا ، تحت راية ما أسمته إذ ذاك بالعلم الحديث.

ولقد لفتت هذه المدرسة إليها حينئذ انظارا كثيرة ، وسيطرت على مجموعة كبرى من المثقفين والنابهين ، لا بسبب موازين علمية اعتمدت عليها ، بل بتأثير من الراية الجاذبة التى كانت تخفق فوقها .

ولكن ما لبثت الأنظار بعد حين ان ارتدت عنها ، وما لبثت الطريق التى شقتها الى التحليل الجديد لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقفرت بعد ازدحام ، وعادت الراية الجاذبة من فوقها راية عتيقة لا تشبع للمثقفين المؤمنين رغبة ولا تمتد الى نفوسهم بأى تأثير .

غير انها تركت من ورائها اصداء عظيمة ، لا تزال تدوى على اسماع كل من يريد ان يقبل على حياة محمد عليه الصلاة والسلام دراسة وفهما ، فهى لا بدّ أن تشغله بين يدى دراسته حينا من الوقت . فان واصل الطريق والدرس ولئت عنه هذه الأصداء ، وتخلفت وراء سور الحقائق العلمية الناصعة ، وان هو اكتفى ببعض ما قد علم ووقف عند منتصف الطريق ، غشيته هذه الأصداء ثم لم تفلته ، وعاد من النهاية التى وقف عندها بمزيج من شطر تدين وشطر علم ، فلا يزال هذان الشطران يحتك احدهما بالآخر فى خصومة لا نهاية لها حتى يتفانيا أو يظهر أقواهما على الآخر .

فما هى قصة هذه المدرسة ..؟ وفيمَ ظهرت ثم خبت ..؟ وما هو موقف العلم فى سلطانه الحديث منها ..؟

● اتباع العلم شيء ، والانبهار بكلمات العلم شيء آخر
● حياة الرسول تتجلى على ضوء الأول لا تحت تأثير الثاني

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

انعكاس مرير لنقطة ضعف مريرة

قصة هذه المدرسة ترجع الى ايام الاحتلال البريطانى لمصر !..

لقد كانت مصر حينئذ منبر العالم الاسلامى كما نعلم ، يعنو اليه بعقله وتفكيره كلما اراد أن يعلم عن الاسلام علما ، كما يعنو الى كعبة الله بوجهه كلما اراد حجا أو صلاة .

وكان الصوت الذى ينبعث من منبر العالم الإسلامى ، إنما هو صوت الجامع الأزهر بكل ما يفيض به من علوم مختلفة وما يتأجج فيه من وعى وجهاد ووطنية .

وكان فى استمرار هذا الصوت العظيم من جانب ، واستمرار انصات العالم الإسلامى اليه من جانب آخر ، ما لا يدع لبريطانيا فرصة هدوء او استقرار . ومهما أخضعت لنفسها الوادى كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار ، فانه خضوع موقوت لا يطمأن اليه ، طالما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية ، وطالما كان الأزهر معتمدا فى قيادته وتهييجه على وقود هذا الدين ، يؤججه وعى ، ويحوطه علم ، ويحميه إخلاص !.

إذاً ، لا بدّ من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

إمّا أن يتطلع ما بين الأزهر والأمة ، فلا يبقى له عليهما من سلطان ، وإما أن يتم التسلل الى مركز العمليات القيادية فى الأزهر ذاته ، فتوجه قيادته الوجهة التى ترضى مصالح بريطانيا وتهيىء لها اسباب الراحة والاستقرار .

وانا والله لا اعتمد فيما اقول على استنتاج أو توسم .. او نحو ذلك من المناهج الوهمية التى يعتمدها اكثر المؤرخين اليوم ، فى تنص ما وراء الأحداث وتحليل ما قد يكون لها من أسباب .

وإنما اعتمد فى ذلك على اقرار اللصوص أنفسهم ، بعد أن تمت السرقة ، وتحقق القصد ، وجاء دور

الراحة ، واستعادة اخيلة النصر ، وكتابة المذكرات .

يقول اللورد لويد المندوب السامى لمصر إذ ذاك فى مذكراته التى سماها (مصر منذ أيام كرومر :

EGYPT SINCE CROMER

(إن التعليم الوطنى عندما قدم الانكليز ، كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كان اساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق اى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى (تأمل !..) فلو امكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن نتصور لنا أى تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ، ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إيجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح) .

وكان أن اختارت بريطانيا الحل الأول ، باعتباره اقرب منالا ، وابعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد الى هذا الحل ، الاعتماد على نقطة ضعف مريرة تعانى منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة بما فيها مصر وغيرها وهى احساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، الى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التى نهضها الغرب فى شتى المجالات الفكرية والحضارية المختلفة !.. لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب الى اليوم الذى يتحررون فيه من الأثقال التى خلفتهم الى الوراء ، ليشتركوا مع غيرهم فى رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعمارى ، الى صدور قادة الفكر فى مصر : ان الغرب لم يتحرر من اغلاله إلا يوم اخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شىء والعلم شىء آخر !.. والتوفيق بينهما لا يتم إلا باخضاع الأول للثانى . واذا كان العالم الاسلامى حريصا على مثل هذا التحرر فليس امامه الا أن يسلك نفس الطريق ، وأن يفهم الاسلام هنا كما فهم الغرب النصرانية هناك . وانما يتحقق ذلك بتخليص الفكر الاسلامى من كل حقيقة غيبية غير مفهومة أو غير خاضعة لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس اولئك الذين انبهرت ابصارهم بمظاهر النهضة الأوربية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الإيمان بالله فى قلوبهم ، ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه الكلية فى عقولهم فتنادوا فيما بينهم الى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل اليها اكتشافات العلم الحديث ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الدائمة .

إخضاع الدين لسلطان العلم ظاهرا ونسفه باسم العلم باطنا

وغاب عن هؤلاء الناس أن هذا الوحى الاستعمارى الذى يدغو المسلمين الى « ثورة إصلاحية » فى شؤون عقيدتهم الاسلامية إنما يستهدف فى الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها !..

وغاب عنهم أن الدين الصالح فى ذاته لا يحتاج فى عصر ما الى مصلح او اصلاح .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية إنما يعنى حشـوه بمنجزات ناسفة تحيله اثرا بعد عين. ذلك لأن الوحى الإلهى — وهو ينبوع الإسلام ومصدره — يعتبر قمة الحقائق الغيبية كلها ، والذى يسرع الى رفض بعض ما فيه من خوارق العادات بحجة اختلافها عن سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، فهو لا جرم اسرع الى رفض الوحى الإلهى كله بما يتبعه من اخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار ..

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، وقد كان إدراكهم له من أبسط مقتضيات العلم لو كان يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته . ولكن اعينهم عشيت فى غمرة انبهارها بالنهضة الأوربية الحديثة وما يحف بها من شعارات العلم والفاظه ، فلم تعد تبصر من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها ، ولم يعد يستأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضة «اصلاحية» تطور العقيدة الاسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك .

لقد كان الذى يهيجهم إلى هذا السلوك إذاً شعارات العلم والفاظه ، لا قواعده وقوانينه ، ومن ثم فقد كان ذلك منهم ثورة فى النفس لا فكرة مدروسة استحوذت على العقل .

مظاهر الوباء الإصلاحى !..

ولم يكن على الاستعمار البريطانى وقد امتص إيحاؤه قدرا كبيرا من المفكرين المسلمين ، أن يتعب نفسه بمواصلة الجهد ومتابعة المخطط .. فقد اطمأن الى أن هؤلاء أنفسهم سوف يقومون بالمطلوب . وما عليه إلا ان يقربهم ويسلمهم قيادة العمل الفكرى فى الأزهر ليبثوا منه الى الفكر الاسلامى هذا الوباء « الإصلاحى » الجديد .

فى سبيل هذا الاصلاح استبدلت قيادات عالية فى مختلف مناصب الأزهر ..

وفى سبيل هذا الاصلاح أسرع الرئيس الجديد لتحرير مجلة « نور الإسلام » ينشر مقالاته المتحدية المجيبة التى فاجأ بها الناس تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) وهى التى يقول فى بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى كل ناحية الى ناحية الإعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشىء من التكلف » .

وهو الذى كان قد نشر من قبل مقالا فى جريدة الاهرام فى ١٩٣٧/٨/٣٠ يقول فيه : « إن الشرق الإسلامى لما رأى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به ، متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا الى درجته العلمية » !!!..

وفى سبيل هذا الاصلاح ظهر كتاب جديد فى تحليل السيرة النبوية باسم « حياة محمد » لحسين هيكل يقول فى مقدمته : « إننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت ان أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية .. » وراح يبتعد فيه عن جميع الإلزامات الغيبية التى يتجسد فيها معنى نبوة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ويحيلها بتكلف عجيب الى ظواهر طبيعية او يثير من حولها شكوك النقل والرواية . وما كاد الكتاب يظهر حتى قدمه الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الى الناس قائلا : « لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا فى القرآن ، وهى معجزة عقلية » ! . .

وفى سبيل هذا الإصلاح اخذت ترَوَّجُ صفة « العبقرية » و « العظمة » و « القيادة » وما شاكلها للنبى صلى الله عليه وسلم تعويضا عن صفات النبوة والوحى والرسالة وتغطية لها وإبعادا للفكر عنها .

وفى سبيل هذا الاصلاح اصبحت كل خارقة مما قد جاء به صريح القرآن او متواتر السنة ، تؤول — ولو بتكلف وتمحل — بما يعيدها الى الوفاق مع المألوف والمعروف . فطير الأبابيل يؤول — رغم انف الآية الصريحة الواضحة — بداء الجدرى . والإسراء الذى جاء به صريح القرآن يحمل رغم انف الدلائل الثابتة المختلفة على سياحة الروح وعالم الرؤى . والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم فى غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوى الذى اكرمهم الله به .

وهكذا ، فقد تكونت من هذا الاتجاه مدرسة فكرية جديدة ، انقدحت فى الحقيقة من ردّ فعل نفسي ، وان بدت انها سارت تحت راية بحث علمى . حيث اخذت تنشر فلسفتها من فوق منبر الأزهر ، لينطلق تاثيرها بارزا فى الأوساط المختلفة ، فى ظل ذلك الاحتلال الاستعمارى المشؤوم ، وذلك بعد أن قامت معارك طويلة بين المؤيدين والمعارضين لا مجال لسردها فى هذا المقام .

ما هى ثمرات هذا « الاصلاح » ؟

وتسألنى الآن : فما الذى استفادته بريطانيا من تطوير الفكر الدينى بهذا الشكل فى رؤوس المسلمين ؟

والجواب انها اضعفت بذلك الوازع الدينى فى نفوس اولئك الذين كان الدين اعظم محرك ومهيِّج فى حياتهم ، وكان صاحب السلطان فى كل شىء كما قد رايت من ملاحظة اللورد لويد فى كلامه الذى نقلناه آنفا .

وانت تعلم ان اى استهانة بما فى الدين من الخوارق والغيبيات الثابتة، من شأنها ان تضعف ما فيه من وازع وسلطان على النفس ، بل من شأنها ان تقضى عليهما مع الزمن .

فلما ضعف هذا الوازع فى النفوس ، تهيأت بذلك لقبول اى تطوير وتبديل فى حقائق الاسلام باسم الاصلاح والتوفيق مع مقتضيات العلم . فكان أن تسللت العقلية الأوروبية المتحللة لتحتل مكان العقلية الاسلامية المعتزة بالمنهج الاسلامى السليم ، وتمكنت من تطوير مناهج الحياة نفسها طبقا لما تريد بعد ان انحسر عن الاسلام سلطانه وعاد اسلاما شكليا مجردا ، تبدو صبغته على اللسان ولا تمتد منه اى جذور الى طوايا النفس واعماق القلب .

وبالمقابل ، فان تلك المدرسة « الاصلاحية » لم تكسب اربابها ودعاتها اى نهضة علمية كالتى نهضتها اوربا كما كانوا يتوهمون او كما اوهمهم الاستعمار البريطانى .

كل ما جنته ايدى ذلك « الاصلاح

الدينى » إبعاد المسلمين عن الحقيقتين معـا : فلا هم على وازعهم الدينى ابقوا ، ولا على النهضة العلميـة المنشودة عثروا .

موقف العلم من هـذه المدرسة « الاصلاحية »

بعد هذا نقول : ليكن ما قد فعله الاستعمار البريطـانى خداعا كمـا اوضحنا ، فهل لنا أن نتأثر من ذلك بدافع من ردود الفعـل المجـردة ، فنؤمن بسلطان الخوارق والغيبيـات كيفما كان ، وأيا كان حكم العقـل والعلم فيهما ؟!..

لا .. ليس لنا أن ننقاد فى شيء من ذلك بدافع من ردود الفعل . وكما أنه لا ينبغى للعاقل ان يلحد فى ذات الله بدافع من التقليد او ردود الفعل المجردة ، فكذلك لا قيمة للإيمان بالله او بما يتبعه من خوارق وغيبيـات بدافع من هـذا التقليد او الانعكاس النفسي المجرد . إن الميزان المحكم على كل حال هو العقل السليم الحـر ، او قل : إنه العلم اليقينى الذى لا يشوبه الوهم .

وإن أحدث ما انتهت اليه مـدارك العلماء من الحقائق العلمية (١) التـى لا مرية فيها هو أن ما بين الأسباب ومسبباتها الطبيعية ليس إلا علاقـة اقتران مطرد اكتسبت تحليلا ثم تعليلا، ثم استنباطا للقانون المرتبط به طالمـا فيه نفسى .

اى ان العلم ليس إلا ممارسـة لتجارب خارجية بعيـدة فى مرحلتها الأولى عن وحى الفلسفة أو الحركة الفكرية المجردة ، تتعلق بموضوعات مادية معينة ، ثم انها تفرض نفسها على العقل طبق ما دلت عليه التجربة والمشاهدة ، بقطـع النظر عن أى تنبؤات وتقديرات أخرى تفرض فى المستقبل .

فان رحت تسأل هـذا العلم عن رأيه فى خارقة غيبية اومعجزة إلهية ، قال لك بلسـان الحـال : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثى واختصـاصى . فلا حكم لى عليهما بشيء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامى فانها تصبح فى تلك الحـال موضـوعا جاهزا للنظـر والتحليل ثم الشرح والتعليل . اما ان افرض حالة معينة فى الذهن تنفصل فيها النار عن قوة الإحراق مثـلا ، ثم أحكم عليها اى أحللها واقومها كما هو شأني وعملى ، فذلك متناقض مع طبيعتى واختصاصى وما قد حصرت فيه نفسى .

وقد انقرض العصـر الذى كان بعض العلماء فيه يحسبون ان اثر الأسباب الطبيعية فى مسبباتها اثر حتمى يستعصى على التخلف والتغيير وانتصر الحق الذى طالما دافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالى خاصة من أن عـلاقات الأسـباب بمسبباتها ليست اكثر من رابطـة اقتران مجردة ، وما العلم فى قوانينه كلها إلا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران .. هذا الاقتـران وحده . ولقد رأينا « هيوم » وهو العـالم التجـريبي الأول كيف يجلّى هـذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

وإذاً ، فان الحديث عن اى خارقة غيبية مما قد احيـل به الى الزمن الماضى او اخبر به عن المسـتقبل ، إنما يشترط لاعتبارها حقيقة ثابتة شرط واحـد هو وصـولها الينا عن

---

(١) نقصد هنا بالعلم العلوم الطبيعيـة ، لا العلم بمعناه العام وهو ادراك الشيء على ما هو عليه .

طـريق عـلمى من شأنه أن يورث اليقين والجزم .

فالخـوارق التى يحار العلم فى تفسيرهـا ، إذا بلغتنا عن طـريق التواتر ، بالقيود التى يجب توفرهـا لإعطاء إدراك يقينى ، تعتبر حقيقـة علمية لا مجال فيها لجدل أو تردد .
اما ما لم يتوفر له هذا الشرط فهـو ملغى عن الحسبان وان ارتقى بـه النقل الى درجة الظن .

وهذه القاعدة لا شك فيها عند احد من العقلاء أيا كان تفكيره ومذهبه .
ولكن الخلاف قد يقع فى تطبيقهـا لأسباب اخرى لا علاقة لها بالقاعدة ذاتها .

حقائق أوليـة .. هى سر الخـلاف

هذه الأسباب تتمثل فى عدم إيمان بعض الناس ، بحقائق أوليـة هى عمود الحقيقـة الاسلامية الكبرى ، كنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وثبوت أن القرآن كلام الله عز وجل .

فان من يجزم بهاتين الحقيقتين ، لا يسعه إلا أن يستيقن بما قد بلغه عن محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق التواتر الذى يورث اليقين ، وبما قد قطع به القرآن فى عبـارة صريحة لا تحتمل — فى ميزان السليقة العربية — تأويلا ولا تحريرا .

اما من لم يجزم بهما ، فلا جرم انه قد لا يستيقن شيئا مما ذكرناه ، لا إنكارا منه لقانون التواتر وما يورثه من اليقين ، ولكن إنكارا منه للوثيقة ذاتها اى لمصدر الخبر ذاته .

وواضـح ان تقليـد المسلم الموقن بنبوة رسول الله والجازم بأن القرآن كـلام الله ، لهذا الفـريق الثانى ، عندما ينكر غيبيات الاسلام مما قـد اخبرت به نصوص القرآن مثلا — يعتبر غبـاء عجيبـا يثير الشـفقة والاشمئزاز !..

وهكذا فان أولئك الذين ليسـوا على اسـتعداد لإدراك أن ملائكـة ارسلها الله لتقاتل مع المسلمين فى غزوة بدر ، وأن محمدا صلى اللـه عليه وسلم قد أسرى به (دون وسيلة نقل طبيعية) الى بيت المقدس ، لا يرجع عدم استعدادهم هذا الى حقيقة علمية تصدهم عن الادراك واليقين ، كما كانت تتخيل المدرسة «الاصلاحية» السالفة ، وإنما يرجع الى انكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والى انكارهم لما نخبرهم به ، من أن القرآن ليس الا وحيا من عنـد الله . ولو اتفقوا معنا فى الإيمان الصـادق بهاتين الحقيقتين لما توقفوا لحظـة واحدة فى الإيمان بهاتين الجزئيتين ، ولما وجدوا أى حقيقة علمية تصدهم عن هذا الإيمان .

كان ذلك منعطفا .. ومر

إذاً ، فان العـلم لا يتناقض فى شيء من قوانينه الثابتة مع ما هـو ثابت من غيبيات الاسلام وخوارقه . وليس بين التقدم العلمى وانكار هذه الخوارق اى علاقة او تلازم .

وإنمـا كانت تلـك المدرسـة « الاصلاحية » منعطفا ومر .. ولقد كان اقطابها ودعاتها يفتحون اعينهم على خبر النهضة العلمية فى اوربا من جديد ، بعد طول غفلة واغماض

وانه لأمر طبيعي ان تنبهر العين عند اول لقياها مع الضياء فلا تتبين حقائق الاشياء ولا تميز الاشباه عن بعضها ، حتى إذا مرّ وقت ، واستراحت العين الى الضياء اخذت الأشياء تتمايز عن بعضها وتبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

ولقد مرّ وقت كان على البصائر التى عشيت ذات يوم بالضياء المداهم الوهاج ، فهى اليوم ترى الحقائق ناصعة كما هى ، ومن ثم فهى تتأمل بسخرية واشفاق فى الكلمات التى كان قد قالها احدهم وهو يعانى من احدى غيبوباته العاطفية مع كلمة « العلم » : (ان الشرق الاسلامى لما راى دينه ماثلا فى عالم الاساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه راى الأمر اكبر من ان يحاوله ..) فهى ولا ريب نبوءة عين تخطفها الضياء أكثر من أن تكون تفكير عقل بما يحمله المستقبل .

واغرب من هذا ما يقوله حسين هيكل : (اننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت ان أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية ..) !!.. إنه يطمئنك الى انه لم يأخذ حتى بما ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم حفظا لكرامة العلم !

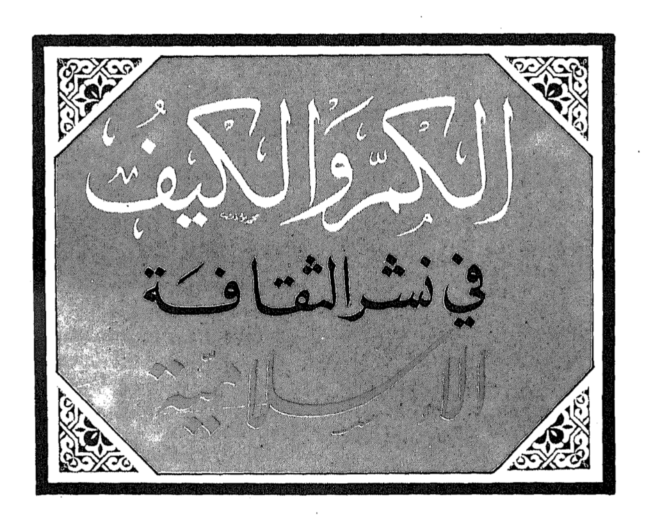
إذاً فان ما يرويه البخارى ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة ، انحراف عن جادة العلم ، على حين تكون طريقة الغربيين فى الاستنتاج والحدس ومنهج التوسم حفظا لكرامته والتزاما لمنهجه وجادته !. اليس هذا من أفجع الكوارث النازلة براس العلم ؟

••• ••• •••

إما اليوم فان الجيل المثقف الواعى المشبع بروح العلم لا يعدو ان يكون احد رجلين : رجل مؤمن بالله ورسوله فهو يقبل الإسلام بكل ما هو ثابت فيه من خوارقه ومعجزاته وغيبياته ، لا يرهق عقله بتمحل ولا اختلاق تاويل ، ولا يرى فيه اى انحراف عن مقتضى العلم وسلطانه ، وهو يمثل جمهور الشباب المثقف اليوم .

وآخر لا يؤمن بإله ولا برسول ، ومن ثم فهو لا يؤمن بشيء مما نتحدث عنه ، لا اعتمادا منه على مقياس العلم ، بل اعتمادا على كفره وجحوده بينبوع ذلك كله .

اما رجل آمن بالله ورسوله واتخذ الإسلام دينا ، ثم انكر منه كل ما لا سبيل للعلم الى فهمه وتحليله ، فهو نموذج لا يمكن ان نعثر عليه فى جيلنا المثقف اليوم ، إلا ان يكون رجلا تدوى على سمعه اصداء تلك الأفكار القديمة دون أن تسعفه الظروف بمواصلة الطريق الى نهايته فى الدراسة والنظر والبحث .



بقلم : محمد عبد الله السمان

ما اكثر ما تخرجه المطابع فى ايامنا هذه من مؤلفات تقدمها الى المكتبة الاسلامية فى كثير من الموضوعات ، حتى يكاد يتوهم البعض اننا بصدد نهضة فكرية تعيد الى الأذهان تلك النهضة الفكرية التى ظهرت إبان العصر الذهبى للدولة العباسية . .

وليس الكلام هنا موجها الى طبع التراث الاسلامى ، حيث نلمس العديد منه يتخم المكتبات واكشاك باعة الصحف فى كثير من عواصم البلاد العربية ، وفى مقدمتها لبنان والعراق ومصر والكويت وقطر وسوريا ، والحق أن الاهتمام بالتراث عمل جدير بالتقدير ، ولا سيما ما كان منه لا يزال مسجلا فى مخطوطات نادرة فى مكتبات أوربا ، ولكن هذا لم يمنع تسلل العنصر التجارى أو المذهبى الى هذا العمل ، وكان أن طبعت كتب وزج بها الى الأسواق ، لا تخدم الفكر الاسلامى ، ولاتمثل الثقافة الاسلامية الواعية فى قليل او كثير ، وإن منها ما لا يساوى ثمن المداد فضلا عن ثمن الورق . .

وإنما الكلام هنا موجه الى الكتابات الحديثة التى تتسم فى مظهرها بالطابع الاسلامى ، أما فى حقيقتها فلا تمثل إلا لونا من الوان الاستهلاك ليس الا ، ومن بين عشرة كتب لا تكاد تعثر على كتابين جادين يخدمان الفكر الإسلامى السليم ، ويمثلان الثقافة الاسلامية الناضجة ، اما الكثرة الساحقة من هذه الكتب ، فهى تحرص على أن تحمل عناوين عاطفية ضخمة ، فاذا قراتها خرجت منها صفر اليدين خالى الوفاض .

اذكر انني منذ سنوات قد جذبنى عنوان كتاب لعالم فاضل « المستقبل للاسلام » وما أن قرأته حتى أصبت بخيبة أمل . فالكتاب ـ يعلم الله ـ ليس فيه عن حاضر الاسلام ـ فضلا عن مستقبله ـ حتى بضعة سطور ، وعتب علىّ المؤلف الموقر لأننى تناولت كتابه بشيء من القسوة على صفحات مجلة الأزهر ، وبحثت عن معنى اشد من الدهشة فلم اجد ، حين اعتذر سيادته ، بأنه سلم الناشر كتابا ضخما ، لكن الناشر اقتطع منه هذا الجزء ، واختار له العنوان بنفسه دون الرجوع إليه .. فرجوت أنا منه أن يكتب هذا الاعتذار ، وسننشره له ، لكنه وعدّ ولم يفِ .

ومنذ أيام معدودة ، ابصرت كتابا ضخما فى أحدى المكتبات ، يقع فى اكثر من ستمائة وخمسين صفحة ، ومؤلفه مستشار سابق ، أما عنوان الكتاب ، فهو « محمدخاتم الرسل » وجلست بعضا من الوقت أتابع موضوعات الكتاب ، وللأسف لم أخرج منه بشيء جديد فهو سرد أوجز ما دونته كتب السيرة ، ليس فيه ما يروى الغلة من تحليل أو تعقيب أو مناقشة ، لا بد أن السيد المؤلف قد قرأ ما كتبه المرحوم الدكتور هيكل فى كتابيه « فى منزل الوحى » و « حياة محمد » لكن الذى اقطع به انه لم يتأثر بهما ولم يفد منهما ، أما كان الأحرى بالسيد المؤلف ان يقدم للمكتبة الاسلامية احدى الدراسات عن القانون المقارن بالتشريع الاسلامى ، كما فعل إخوان له من قبل ، فخدموا الفكر الاسلامى ، وخدموا الثقافة الاسلامية ؟!

ما أحوج الاسلام اليوم ، بل والمسلمين الى دراسات جادة تعرض معانى الاسلام الحية ، وتصفى الاسلام نفسه من الشوائب التى لحقت به فى عصور الغفلة واللامبالاة وتدحض الشبهات والمفتريات التى الصقها به المغرضون وذوو الأهواء ، مستشرقين صليبيين حاقدين كانوا ، أو مسلمين ضعاف الضمائر ، لذّ لهم أن يعرفوا بالتحضر ، أو ماديين متحفزين دائما للنيل من الاسلام واصوله ..

كان العقاد رحمه الله يتصدى لهذه الشبهات وتلك المفتريات على صفحات مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام » متعقبا كل ما يصدر عن هوى عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه ، والحق الذى لا جدال فيه ، أن كل مقال من مقالاته ، كان يزن عشرات من الكتب الاسلامية التى لا تقدم للمكتبة الاسلامية إلا تكرارا مملا ، واسفافا ضحلا ، ومات العقاد ، وخلا مكانه ، وفشلت مجلة الأزهر فى الحصول على خلف له ، ولقد عرضت الموضوع بنفسى على عديد من الكتاب الاسلاميين المبرزين فأحجموا ، وقبل على استحياء المرحوم الدكتور الأهوانى لكنه توقف بعد مرتين أو ثلاثا .

وكتاب العقاد « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » يكاد يكون الكتاب اليتيم فى المكتبة الاسلامية . وهل ينكر إنسان ان « العبقريات » التى كتبها العقاد ، قد أتت بجديد فى مجال التحليل الذى لا يبارى فيه العقاد ؟

عشرات الكتب تظهر من تاليف المستشرقين المغرضين ، تنال من الاسلام ونبى الاسلام ، ولكن قل أن نجد من يتصدى لها من الكتاب الاسلاميين الذين آثروا السلبية فى كتاباتهم ، بل منهم من يتحمس لمصادرة هذه الكتب المنحرفة مؤثرين السلامة بدل أن يتصدوا لها ويفندوا مزاعمها ، ويدحضوا شبهاتها .

بل لا يكفى أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية ويرد عليه ، فالعمل الايجابى أن يرد عليه بنفس اللغة ، وينشر فى الأوساط التى تسلل اليها بلغته الأجنبية ..

وكما خلا مكان العقاد فى هذا المجال ، خلا من قبل مكان المرحوم فريد وجدى ، فقد خدم الفكر الاسلامى وحده بقلمه ، لكن ما قدمه للفكر الاسلامى من خدمات لا يزال معظمه ضيفا على ارفف النسيان والاهمال ..

وفى مجال جغرافية العالم الاسلامى نحس بكثير من الخجل ، فالكتب عن جغرافية العالم الاسلامى لا وجودلها فى المكتبة الاسلامية ، هناك كتاب يتيم الفه كاتب هندى مسلم وقام بترجمته الاستاذ فتحى عثمان ، بل ان المسلم لا يكاد يجد مرجعا يروى الغلة عن الدول الاسلامية فى أفريقيا وآسيا .

لذلك يضطر الى الرجوع الى ما كتبه كتاب الغرب مثل كتابى المؤلف الامريكى « جون جنتر » وهما داخل افريقيا وداخل آسيا ، بل حتى الاحصائيات الدقيقة عن تعداد المسلمين ومظاهر النهضة والحضارة الحديثتين فى بلادهم ، لا نكاد نعثر علىمراجع وافية شافية باقلام الكتاب الاسلاميين ، وقد ظهر منذ سنوات كتاب لكاتب يحمل لقب دكتور ، عنوانه : « الاسلام فى المشارق والمغارب » ومن المؤسف القول بأن ما استوعبه منمعلومات لا يزيد شيئا عما هو مدون فى الكتب المدرسية فى مرحلتى الاعدادى والثانوى ، وعندما اردت الحصول على تعداد المسلمين فى الكنغو ، وجدت المؤلف يذكر انهم مليون مسلم ، لكن حين اطلعت على كتاب « المسلمون فى العالم » لمؤلف مسلم يحمل أيضا لقب دكتور وجدته يذكر انهم احد عشر الفا ، وأمام هذه البلبلة اضطررت الى الرجوع الى اطلس العالم الاسلامى الذى اصدرته مؤسسة « رانكلين » الأمريكية ..

وفى مجال الحركات الاسلامية المعاصرة ، نجد أن كتاب الغرب انشط منا ، واسبق منا ، فنحن لا نكاد نعرف شيئا عن حركة الصراع الدائبة فى داخل افريقيا السوداء بين الاسلام من ناحية ، وبين الوثنية والصليبية والمادية اخيرا من ناحية أخرى ، وحسبنا أن نقرأ كتاب «داخل افريقيا» الذى سبق ذكره لجون جنتر ، ثم كتاب يقظة العالم الاسلامى لكاتب أوربى هو (فرنو) لنزداد مرارة واسى .

وفى مجال التبشير الصليبى فى داخل أفريقيا السوداء وآسيا ، وهو الذى لا يزال يناهض الاسلام دون توقف أو ملل ، هل استطاع الكتاب الاسلاميون أن يتعقبوا هذا التبشير الصليبى الاستعمارى الذى لا يزال يغزو الاسلام فى عقر داره ؟ لقد سد

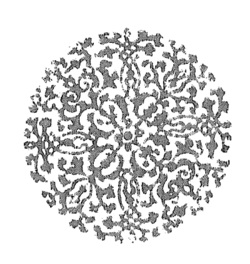
الدكتور عمـــر فروخ وزيمله فراغــا كبيرا فى المكتبة الاسلامية بكتابهما : « التبشير والاستعمار » لكن ماذا بعد هذا الكتاب الجليل الذى صدر منــذ بضعة عشر عاما ؟ لا شيء ..

وبعـــد ..

فمن الوهم ان نقيم نهضتنا ــ نحن المسلمين ــ فى مجــال الفكر على اساس من الكم فيما يؤلفه المؤلفون وتخرجه المطابع .. وهو كالســـيل الجارف ، فالكثرة الساحقة من هذا السيل تكرار ممل ، أو اسفاف ضحل لا يخدم الفكر الاسلامى ، ولا يشرف الثقافة الاسلامية ، ونحن لا ننكر ان هناك كتبا إسلامية جادة لكتـــاب اسلاميين لهم وزنهم وتقديرهم ، لكن هذه الكتب القليلة تضيع فى ضوضاء السيل الجارف من الكتب التى تنتسب الى الاسلام وهى لا تزن المداد الذى كتبت به ، فضلا عن الورق الــذى طبعت عليه ..

إن الاسلام يتعرض لتيارات جارفة مستوردة ومحلية ، فهو فى مسيس الحاجة الى كتابات جادة تواجه هذه التيارات التى لا تعرف الهدوء فضلا عن التوقف ، الاسلام فى حاجة الى دراسات تعرض الاسلام عرضــــا سليمـــا خاليا من شـــوائب التزمت والشعوذة ، وفى حاجة الى دراسات جادة عن حركة الاسلام وموقفها من التبشير الصليبى العميل للاستعمار من كل مذهب ولون ، وفى حاجة الى دراسات تتعقب الشبهات والمفتريات التى يلصقها بالاسلام واصــوله ذوو الأهــواء من المستشرقين ، ومرضى الضمائر من المنتسبين الى الاســـلام طلبا للشهرة ، وتزلفا الى جبهات تملك الحرمان كما تملك العطاء ..

وحسبنا الله وحده .





للدكتور محمد محمد حسين

من هم العرب .. ؟

العروبة والجامعة العربية والقومية العربية ، كلمات يجرى استعمالها هذه الايام فى معنى واحد هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من الناس المسمى بالعرب .. فمن هم العرب .. ؟ لو تتبعنا مدلول هذه الكلمة على امتداد التاريخ لم نجده واحدا .. كلمة (العرب) كانت تطلق قبل الاسلام على سكان جزيرة العرب ، التى يحدّها الهلال الخصيب من جهة الشمال (العراق والشام) والتى يحيط بها خليج العرب والبحر المحيط والبحر الأحمر من الشرق والجنوب والغرب . كان هذا الجنس الذى يسكن تلك الارض هو وحده المقصود باسم (العرب) .. منه ورثنا التراث الشعرى الضخم الذى اشتدت عناية الدارسين به للاستعانة به فى ضبط اللغة العربية وعلومها وفى تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف .

فلما ظهر الاسلام وعم الجزيرة العربية على اختلاف قبائلها ، بدات الفتوح على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمحاربة الروم في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، ثم في غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، ثم كانت واقعة اليرموك سنة ١٥ هـ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد توفي في أثنــائها قبل ان يتحقق النصر للمسلمين . وتوالت الفتوح من بعد في خلافة ســيدنا عمر رضي الله عنه في العراق ومصر وما وراءهما . ثم في خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

هجرة العرب :

وتتابعت هجرة القبائل العربية الى الأمصـــــار المفتوحة على اختلاف أسبابها .. منهم من هاجر طلبا للنجعة في سنوات القحط وفي أوقات الجفاف على عادتهم في الجاهلية ، ثم طابت له الحياة فاستقر في موطنه الجديد . ومنهم من ذهب مع الجيوش الفاتحة ثم لم يعد . ومنهم من هاجر استجابة لدعوة أمراء العرب في هذه الأمصار ، الذين رأى بعضهم أن يستقدم بطونا من عشـــيرته يتقوى بهم ويدعم عصبيته ، كما حدث في ولاية الوليد بن رفاعة على مصر في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي حين اســـتقدم القيسية . ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش في هذه البلاد .

وكان العرب في أول الأمر ، وعلى امتداد الدولة الأموية ، يترفعون عن الاختلاط بأبناء البلاد المفتوحة . وكانوا يعتزّون بأنسابهم في قبائلهم . ولذلك حرصوا على حفظها من الاختلاط بغيرهم ، وعاشوا حياة أقرب الى البداوة ، في منازل أشبه بثكنات الجيـــوش في خطط منعزلة ، كالكوفة والبصرة في العراق ، والفســطاط في مصر ، والقيروان في المغرب . لذلك ظـــل اسم (العرب) طوال الدولة الأموية يطلق على المنتســبين الى هذا الجنس ممن قدموا على الأمصار المفتوحة ، وذلك في مقابل اسم (الموالي) الذي كان يطلقه العرب على من عداهم من الأجناس في هذه البلاد ترفعا واســتعلاء . وذلك باستثناء بلاد الشام التي بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربي فيها من عهد بعيد قبل الاسلام ، ثم ساعد انتقال العاصمة اليها في عهد الأمويين على زيادة هذا الاختلاط . كانت البلاد المفتوحة في أول عهدها بالفتح تطلق على الغزاة الفاتحين اسم (العرب) ، تمييزا لهم من سكان البلاد الأصليين ، الذين كان بعضهم لا يزال على دينه . وبذلك كان اسم (العرب) مرادفا لمعنى (المسلمين) .

التعريب :

وانتشر الاسلام شيئا فشـــيئا في هذه البلاد المفتوحة .. وانتشرت معه اللغة العربية التي لا غنى للمسلم عنها في معرفة دينه وإقامة شعائره وحفظ كتابه . ثم جاء تعريب الدواوين في أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) ونقلها الى أيدي المسلمين بعد أن كان يتولاها أهل البلاد من غير المســلمين ، ويدونونها باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة) في العراق وبالرومية في الشام وبالقبطية (المصرية القديمة في العصر المسيحي) في مصر . فزاد انتشـــار اللغة العربية . ولم ينته القرن الأول الهجري حتى كانت اللغة العربيـــة لغةً للتخاطب والتعامل والتدوين في هذه البلاد جميعا ، وأصبح الاســـلام دين

السواد الاعظم من سكانها ، وكادت لغات البلاد القديمة تنسى بعد ان اقبل الناس على العربية ، قرآنا وحديثا وشعرا ولغة ، يحاولون إتقانها ومنافسة العرب انفسهم فيها .

وعلى توالى الأيام زاد امتزاج العرب في الامصار بأبناء البلاد ، بالتصاهر وبتداخل المصالح ، واختلطت انسابهم بتوالى الأجيال ، فضعفت العصبية العربية المبنية على النسب تبعا لذلك (تاريخ ابن خلدون ٦ : ٣ طبع بولاق) . وزاد الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات فى العامة والخاصة ، حتى اصبح الخلفاء فى أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد ، وفى سائر الدولة العباسية ، من بعد الأمين بن الرشيد ، من امهات غير عربيات . وزاد على مَرّ الأيام عدد الفقهاء والشعراء والمشتغلين بالعلوم العربية والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب . بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم . وزاد خطرها منذ تجرأ الترك على قتل المتوكل .

الاسلام أولا ..

وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية ، واصبحت الصبغة الظاهرة فى البلاد الاسلامية على اختلافها هى الاسلام ، واصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا شائعا بين العرب وغير العرب بلا تمييز . بل اصبح عدد المشتغلين بها والذين يدونون بها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب اكثر عددا واغلب شهرة . فأبو حنيفة الفقيه (١٥٠ هـ) فارسى ، والبخارى شيخ المحدثين (٢٦٥ هـ) تركى ، وسيبويه ابو النحو (١٨٣ هـ) فارسى ، وصلاح الدين الأيوبى بطل الحروب الصليبية (٥٦٤ هـ) كردى ، ومحمد بن إسحق اول من دوّن السيرة النبوية (١٥١ هـ) فارسى . والطبرى شيخ المؤرخين والمفسرين (٣١٠ هـ) تركى ، وابن سينا أبو الطب العربى الذى ظلت كتبه تدرس فى جامعات أوروبا طوال العصور الوسطى (٤٢٨ هـ) افغانى . وبذلك صح أن توصف هذه البلاد جميعا بأنها عربية ومسلمة فى آن واحد ، دون أن تغلب فيها احدى الصفتين على الأخرى :

من هذا العرض يتبين لنا بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا — فضلا عما وراءها شرقا من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها — ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام ، بل إن عروبتها فى الحقيقة تتأخر عن اسلامها . وهذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسببه . ذلك بأن الاسلام دعا المسلمين الى ان يحبوا العرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغة جامعة لشملهم . روى الحاكم فى المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من احب العرب فبحبى احبهم . ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم » . وعن ابى هريرة انه قال « احبوا العرب وبقاءهم . فإن بقاءهم نور فى الاسلام . وإن فناءهم ظلمة فى الاسلام » . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يتكلم بالفارسية وهو يطوف حول الكعبة فاخذ بعضديه وقال « ابتغ الى العربية سبيلا » . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن بوضوح أن العربى هو من تكلم العربية ، حيث يقول « يا أيها الناس . إن الرب واحد وان الأب واحد وان الدين واحد . من تكلم بالعربية فهو عربى » .

من اجل ذلك كان التفريق بين العروبة والاسلام فى ايامنا هذه لا يستند

الي اساس . فالاسلام هو الذي اعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها وعلى القيم التي تضمنها كتابه وسنة رسوله . فالتقت قلوبهم وعقولهم وامزجتهم على ما يَحلّون وما يحرمون ، وما يحبون وما يكرهون ، وما يستملحون وما يستقبحون ، وتوحدت أنماط حياتهم في عباداتهم وفي افراحهم وفي احزانهم وفي نظمهم داخل بيوتهم وخارجها . لأنهم في ذلك كله كانوا محكومين بالفقه وبالآداب والفنون التي نشأت ونمت وترعرعت في ظل الاسلام ، وخضعت لأحكامه ، وتأثرت بقيمه ومزاج شعوبه . فاتجه النحت والتصوير مثلا الى الانماط العربية المعروفة المبنية على الخطوط والدوائر ، والى تجميل الحروف الكتابية والافتنان في تنسيقها ، مبتعدا عما نهى عنه الاسلام من إبراز الشخوص الانسانية او الحيوانية وتمثيلها ، واصبح لهذا الفن شخصية بارزة متميزة يستملحها غير العرب وغير المسلمين ، حتى رأينا بعض نصارى الغرب يزينون كنائسهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية مما بقي من آثار العرب في الأندلس بعد خروجهم ، وهم يجهلون أن هذه النقوش ليست سوى آيات قرآنية . ثم ان القرآن ضمن للغة العربية ولخطها ثباتا واستمرارا لا نظير له في سائر لغات العالم التي تتعرض للتبديل والتغيير والتحوير . لأن المسلمين رفضوا كل تغيير أو تبديل أو تطوير يبعدهم عن فهم النص القرآني والأصول الاسلامية من حديث وفقه أو يحول دون قراءتها وتذوق بلاغتها وإعجازها . وبذلك اصبح التراث الفكري الاسلامي كتابا مفتوحا يتنقل القارىء بين صفحاته وفصوله من اوله الى آخره ، يقرا للمتقدمين السابقين من الأولين كأنه يقرا لشعراء ولكتاب معاصرين .

ولم يقتصر الأمر على قيام هذه الروابط الاسلامية الجامعة بين العرب . فقد امتدت آثارها الى سائر المسلمين ، الذين تأثروا بهذه القيم والنظم الخلقية والاجتماعية ذاتها ، والذين إن فاتهم اتخاذ العربية لغة لهم ، فلم يفتهم اتخاذ حروفها لتدوين تراثهم ومعارفهم . لم يشذ عن ذلك الا الترك منذ الثورة الكمالية والجمهوريات التركية الجنوبية في روسيا منذ الثورة البلشفية والاندونيسيون في ظل الاستعمار الهولندي .

ومن أطرف ما قرأته في صلة العروبة بالاسلام قول سمث (د. ك. سمث) في كتابه « الاسلام في العصر الحديث »
الذي ظهر سنة ١٩٥٧ : ان العرب المسلمين لا يعتبرون غير المسلمين من بني جنسهم كاملي العروبة ، كما انهم لا يعتبرون المسلمين من غير العرب كاملي الاسلام ..

من أين إذن جاء التشكيك في هذه الصلة بين العروبة والاسلام .. ؟
فزعم بعض الزاعمين ان الاسلام ليس عنصرا اصيلا في مقومات العروبة .. ؟
وأراد آخرون أن يُعَرّوا الاسلام من صفته العربية .. ؟

متى نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام .. ؟

حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، او ما كان يسمى وقتذاك بالجامعة العربية ، ويعنون بها الرابطة الجامعة لشمل العرب ، كان العرب يشكلون الجزء الاكبر من الدولة العثمانية . واتخذت الدعوة في اول أمرها شكلا ثقافيا يعني ببعث التراث العربي ، والعناية بانشاء صحافة ومسرح عربي ، والدعوة الى الاهتمام باللغة العربية وجعلها لغة

التعليم والقضاء والدواوين فى البلاد العربية بدلا من اللغة التركية التى كانت هى اللغة المستعملة وقتذاك فى هذه المجالات . وكانت كثرة كبيرة من رجال الرعيل الأول من هذه الحركة وفى هذا البعث من مسيحيى لبنان مثل البستانى واليازجى والشدياق واديب اسحق ونقاش وشميل وتقلا ومشاقة وزيدان ونمر وصروف . واغلبهم ممن اتصلوا بالارساليات الانجليزية الامريكية ، التى بدأت تتوارد على بيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لنشر مذهبهم البروتستنتى . واكثرهم فى الوقت نفسه ينتمون الى الماسونية . فابراهيم اليازجى (١٨٤٧ — ١٩٠٦ م) وابوه ناصيف اليازجى (١٨٠٠ — ١٨٧١ م) كانا على صلة حسنة بالارساليات الامريكية الانجليزية . وكانا يترددان على مطبعتهم فى بيروت ، التى كان يشرف عليها وقتذاك الدكتور فانديك . وقد علّم اليازجى الكبير فى مدارسهم ، واعان ابنه فى ترجمتهم التوراة الي العربية . ثم قدم بعد ذلك الى مصر ومات بها . واحتفلت المحافل الماسونية فى مصر والاسكندرية بتأبينه . وهو صاحب القصيدتين المشهورتين فى استنهاض همم العرب ودعوتهم الى احياء أمجاد آبائهم ورفض التجبر والاستبداد :

دع مجلس الغيد الاوانس وهوًى لواحظها النواعس

واختها التى مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وهو صاحب مجلة (الضياء) بما حوت من مباحثه اللغوية . وقد اتم الابن ما بدا به ابوه من شرح ديوان المتنبى وسماه « الجوهر الفرد والعرف الطيب فى شرح ديوان ابى الطيب » .

ومن مؤسسى هذه النهضة ايضا بطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣ م) . وقد كان ايضا على صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتستانت من الامريكان وتولى منصب الترجمة فى قنصلية امريكا ببيروت . واعان الدكتور سميث المبشر الامريكى ، ثم الدكتور فانديك من بعده ، فى الترجمة البروتستانتية للتوراة التى تمت فى سنة ١٨٦٤ م ثم طبعت فى امريكا سنة ١٨٦٦ . واعان الدكتور فانديك ايضا فى انشاء مدرسة عبية الامريكية ، وهى مدرسة عليا ترجع اهميتها الى انها كانت تقوم بتدريس العلوم الحديثة من جغرافيا وطبيعة وكيمياء ورياضة باللغة العربية . وقد وضعت لذلك كتبا خاصة قامت بطبعها ، فشاركت بذلك فى حركة الاحياء العربية . وبطرس البستانى مع ذلك هو صاحب القاموس العربى (محيط المحيط) . وهو صاحب دائرة المعارف المعروفة باسمه ، اتم منها ستة مجلدات ، وتوفى وهو فى بدء السابع ، فأتمه واتم الثامن ابنه سليم . ثم توفى ابنه قبل ان يتم التاسع ، فأصدر أبناؤه الباقون بمعاونة ابن عمه سليمان البستانى (مترجم الالياذة الى العربية) الأجزاء الباقية (التاسع والعاشر والحادى عشر) . وقد ساهم بطرس البستانى مع ذلك كله فى النهضة الصحفية العربية بانشاء ثلاث صحف ، وهى (الجنان) و (الجنة) و (الجنيْنة) .

ومن الذين شاركوا فى هذه النهضة ايضا من مسيحيى لبنان فارس الشدياق (١٨٠١ — ١٨٨٧) ، الذى تسمى بعد اسلامه على يد باى تونس باحمد فأصبح اسمه (احمد فارس الشدياق) . ترك فى اول حياته مذهبه المارونى واتبع المذهب الانجيلى على يد المرسلين الأمريكان ، فتولوا حمايته من بطش رجال الاكليروس الذين حبسوا اخاه وعذبوه حتى مات وهو فى سجنهم بسبب تغييره مذهبه . حضر على نفقتهم الى مصر فى ايام محمد على . ثم

طوّف كثيرا بين دول اوروبا والأستانة وتونس ومصر . ووصف كثيرا من هذه الأسفار فى صحيفته (الجوائب) التى أصدرها سنة (١٨٩١ م ـــ ١٢٧٧ هـ) .
وقد استدعته جمعية ترجمة التوراة البروتستانتية فى لندن سنة ١٨٤٨ م فأعان فى ترجمتها الى العربية . وله كتب كثيرة تغلب عليها النزعة اللغوية ، أهمها (سرّ الليال فى القلب والإبدال) و (الساق على الســـاق فيما هو الفارياق) و (الجاسوس على القاموس) . وله مع ذلك شعر كثير فى مدح سلاطين آل عثمان وباى تونس . وهو صاحب المقامات التى نالت فى زمانها شهرة كبيرة والمعروفة باسم (مَجْمَع البحرين) .
ومن دعائم هذه النهضة ايضا ســــليم تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) المصرية (١٨٤٩ ـــ ١٨٩٢ م) . تلقى علومه فى مدرسة عبية التى أنشــــأها المبشر الامريكى الدكتور فانديك أحد مؤسسى الجامعة الامريكية ، التى بدأت سنة ١٨٦٦ م باسم (الكلية السورية الانجيلية) .
ومنهم جورجى زيدان (١٨٦١ ـــ ١٩١٤ م) . كان على صلة بالمبعوثين الامريكان . وكان يدعى الى احتفالات الخريجين بكليتهم . ثم التحق بالجامعة الامريكية سنة ١٨٨١ لدراسة الطب . وغادرها دون أن يتم دراسته فى العام التالى . وهو صاحب المباحث المعروفة فى اللغة العربيـــة وآدابها . ومؤلف سلسلة من القصص التاريخية العربية وهى (فتاة غسان) و (عذراء قريش) و (١٧ رمضان) و (غادة كربلاء) و (الحجاج بن يوسف) و (فتح الأندلس) و (شارل وعبد الرحمن) و (ابو مسلم الخراسانى) و (العباسة أخت الرشيد) و (الأمين والمأمون) و (فتاة القيروان) و (صلاح الدين ومكايد الحشاشين) و (شجرة الدر) . وهو مع ذلك كله مؤسس مجلة (الهـــلال) التى لا تزال تصدر حتى الآن .
منذ ذلك الوقت نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد هذه الطائفة من المفكرين والكتاب . ولم يعد اسم (الجامعة العربية) مرادفا لاسم (الجامعة الاسلامية) .

الجامعة الاسلامية :

والواقع ان الذين دعوا الى الجامعة العربيـــة فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى كانوا مختلفين فى تصورهم لهذه الجامعة ، متباينين فى أغراضهم التى يستهدفونها من وراء هذه الدعوة . كانت الجامعة الاسلامية وقتذاك هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطنـــة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب ســــلاطينها بلقب الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . وقد زاد نفوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منذ عنى السلطان عبد الحميد بتدعيمها وبدعوة الناس الى الالتفاف حول رايتها والاعتصـــام بها فى وجه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاقتســام أملاك هذه الدولة . وكانت لغة التعليم والادارة فى البلاد العربية التى تكوّن الجزء الأكبر من الدولة العثمـــانية هى اللغة التركية . بها كان يجرى التعليم فى المدارس على اختلاف أنواعها . وبها كانت تجرى المرافعات فى المحاكم . وبها كانت تدوّن المعاملات الحكومية فى مختلف الدواوين . ومن هنا نشأت الدعوة أول ما نشأت تدعو الى الاهتمام باللغة العربية واتخاذها لغة للتعليم والادارة فى

البلاد العربية ، مع منح هذه البلاد شيئا من الاستقلال الجزئى الذى يبرز شخصيتها العربية فى داخل إطار الدولة العثمانية ودون خروج على وحدتها الجامعة .

وكان بعض دعاة ما سمى فى ذلك الوقت بالجامعة العربية من المسلمين خاصة لا يرى تعارضا بينها وبين الجامعة الاسلامية ، التى يدينون بها ويسلمون بها هى الجامعة الاولى والأهم بين المسلمين فى سائر بلاد الارض . بل كانوا يرون فى الاهتمام باللغة العربية شدا لأزر هذه الجامعة التى بها يقيم المسلمون صلواتهم وشعائر دينهم وأذكارهم فى تلاوة القرآن الكريم وخطبة الجمعة وخطبتى العيدين . وبها يتحتم على المسلم ان يلتمس التفقه فى أصول دينه .

ولكن فريقا من هؤلاء المسلمين انفسهم ، الذين يتمسكون بالجامعة الاسلامية ، كان يرى التفرقة بين الخلافة وبين السلطنة ، بجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك . وحجتهم فى ذلك أن العرب هم أقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه . بلغتهم نزل كتابه ، ومن بينهم اصطفى الله نبيه ، وبين احضانهم نشأت الدعوة اليه ، ومنهم كان الرعيل الأول من المجاهدين فى سبيل نشره والدعوة اليه . وذلك مع تسليمهم بأن الترك هم أقوى الشعوب الاسلامية واقدرها على الوقوف فى وجه المطامع الاستعمارية فى بلاد العرب على وجه الخصوص . ولذلك فهم أحق الناس بالزعامة السياسية .

فصل الدين عن الدولة :

وكان ذلك هو رأى الكواكبى الذى بدا واضحا فى آخر كتابه (أم القرى) ، ومن ذهب مذهبه واتبع طريقه من دعاة الجامعة العربية ، الذين ابتدعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ، أو المرجع الدينى على الأصح ، لأن هذه التفرقة تترك الدين فى واقع الأمر بلا سلطة .

وكان هناك فريق ثالث من المسلمين انفسهم واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهؤلاء كانوا يتصورون الجامعة العربية تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين . وكان الهمّ الاكبر والشغل الشاغل لهذا الفريق هو انشاء دولة عربية مستقلة على النمط القومى العربى الذى يقوم على مؤسسات ديموقراطية قوامها ارادة الشعب الممثلة فى مجالس نيابية منتخبة . وكانت هذه الجامعة العربية التى يتوسلون بها الى انشاء دولة عربية كبرى مقصورة على الجناح الايمن لما نسميه الآن بالعالم العربى ، اى القسم الآسيوى وحده من هذا العالم . وكانوا فى معظمهم واقعين تحت تأثير الفكر المستمد من كتّاب الثورة الفرنسية ومفكريها من ناحية ، ومن فلاسفة عصر النهضة اللبراليين فى أوروبا ، الذين دعوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية من ناحية أخرى . وقد ظن هؤلاء ان التقدم الاوروبى الحديث هو ثمرة من ثمرات هذه النهضة ، التى قضت على سلطة الدين وحررت منه رجال السياسة والعلم والاقتصاد . ولذلك فالنهضة العربية عندهم لا تصح الا على هذا الاساس . وهذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غلاة القوميين من الترك ، الذين يدعون الى القومية الطورانية ، والذين كان اكثرهم منضما الى حزب الاتحاد والترقى . بيد أن الأخيرين كانوا يختلفون مع القوميين العرب فى انهم يرون فرض الصبغة التركية واللغة التركية على كل أجزاء الدولة ، ومنها البلاد العربية ، مع تجريد السلطة السياسية من الدين ، والتخلى عن لقب الخلافة ، أو الاقتصار على استغلاله فى تدعيم نفوذ الدولة بين العناصر غير التركية من المسلمين .

العروبيون والاسلاميون :

اما المسـيحيون ممن قدمنا ذكر بعض رجالهم فقد كان من الطبيعى ان يكونوا ضمن الفريق الذى يرى الجامعة العربية جامعة قومية خالصة ، لانهم غير داخلين بحكم مسيحيتهم فى الجامعة الاسلامية ، وليس لهم ولاء قلبى لها ، فكل الذى يربطهم بالدولة هو الولاء السـياسى . وكان من الطبيعى أن يجد الاستعمار والصهيونية فى هذا الفريق الاخير من المسلمين والمسـيحيين على السواء صيدا ثمينا يمكن أن يلتقى معه فى فترة مرحلية تمهد لتحقيق أغراضه . فالاستعمار الانجليزى كان طامعا فى العراق وفى مصادر البترول الذى كانت البحوث الجيولوجية تشير الى احتمال ظهوره ، كما كانت البحوث الاقتصادية تشير الى تزايد أهميته الصناعية .

وفرنسا كانت تطمع فى الشام للرابطة الدينية والاقتصادية التى تربطها بمسيحييه على الساحل ، وللحصول على مصادر البترول ، الذى كان ظهوره متوقعا فى الاجزاء الشمالية من حوض الفرات . وقد أصبحت الحدود بينهـا وبين منطقة النفوذ الانجليزى فى العراق مثار نزاع بين الدولتين عقب الحرب العالمية الاولى لهذا السبب .

والصهيونية العالمية كانت طامعة فى الاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود . ولا سبيل الى ذلك إلا بانحلال الدولة العثمانية ، بعد أن عجزوا عن الوصول الى موافقة السلطان عبد الحميد على زيادة الهجرة اليها وتملك الارض فيها . كان الفرقاء الثلاثة يلتقون عند اسقاط الدولة العثمـانية وتمزيقها ، ويرون أن بث الفرقة بين العرب وبين الترك يساعد على بلوغ هذا الهدف . وقد نجح الفرنسيون فى استمالة فريق من المسـيحيين ــ ومن الكاثوليك منهم على وجه الخصوص ــ باسم الدين ، فكانت الجامعة العربية او القومية العربية تمثل فى نظر هذا الفريق فترة مرحلية ينتقلون منهـا بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية الى الولاء الفرنسى .

هذه الظروف والمناسبات التى واكبت نشأت الجامعة العربية فى العصر الحديث ادت الى سوء ظن متبادل بين العروبيين والاسلاميين . وزاد فى سوء الظن عند الاسلاميين أن الشريف حسـين حالف الانجليز بعد ذلك ضد الدولة العثمانية لقاء وعد منهم بالمساعدة فى إقامة دولة عربية يجعلونه على راسها ، وبنقل الخلافة الاسلامية اليه بعد زوال الخلافة العثمانية . فالاسلاميون يرون أن هذه الدعوة العربية التى نشأت فى حضانة أمريكية صهيونية ، والتى تساندها انجلترا وفرنسا وتمدانها بالمال والسلاح لا يمكن أن تخدم إلا مطامع الاستعمار والصهيونية .

وذلك هو ما عبر عنه شكيب ارسلان فى خطابه الموجه الى الشريف حسين حين بلغه عزمه على غزو سوريا مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى . فهو ينهاه عن المضى فيما هو فيه من دعوة زعماء السوريين للخروج على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسينى العربى ، ويحذره عاقبة هذه الغارات التى يضرب فيها العرب بالعرب ، فيقول له فيما يقول « أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير ، حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انجلترا على جزيرة العرب ، وفرنسا على سورية ، واليهود على فلسطين ؟ » . ثم يخاطب القائمين بالدعوة قائلا « قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية ، الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ ثاراتها : ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم .. ؟ ليقولوا لنا

ماذا اقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم ، لأننا عرب نحب كل من احب العرب ، ونبغض كل من ابغض العرب . ولا نبالى بالقيل والقال أمام الحقائق » .

ولذلك السبب نفسه هاجم الشـــاعر العراقى معروف الرصافى دعاة الجامعة العربية حين عقدوا مؤتمرهم فى باريس سنة ١٩١٣ بعد ان كان مؤيدا لهم يؤازر دعوتهم بشعره ، وذلك فى قصيدته (ما هكذا) التى بداها بقوله :

اصبحت اوســــعهم لوما وتثريبا لمـــا امتطوا غارب الإفراط مركوبا

وفيها يقول :

إنى لأبصر فى (بيروت) قائبـــة للشر موشـــكة ان تخرج القوبا
لو كان فى غير (باريز) تألبهـــم ما كنت احســـبهم قوما مناكيبا
لكن (باريز) ما زالت مطـــامعها ترنو الى الشام تصعيدا وتصـــويبا
ولم تزل كل يوم فى سياســـتها تلقى العراقى فيهــــا والعراقيبا
هل يأمن القوم ان يحتل ســـاحتهم جيش يدك من الشـــام الأهاضيبا

اما العروبيون فقد كانوا من ناحيتهم يحتجون بان الدولة قد أصبحت بعد عزل السلطان عبد الحميد فى يد طائفة من غلاة الطورانيين الذين تنطق صحفهم واعمالهم منذ تولوا الحكم بميولهم الالحادية وبمحاربتهم للاسلام والمســـلمين واتخاذهم الوزراء من اليهود* . ثم انهم كانوا يدافعون عن محالفتهم لانجلترا وفرنسا بأن الدولة العثمانية قد حالفت ألمانيا . وكيف يكون جهادا اسلاميا ، وكيف تكون حربا مقدسة ، تلك الحرب التى تخوضها دولة الخلافة الاسلامية فى ركاب دولة مسيحية هى المانيا .. ؟

وانتهت الحرب العـــالمية الاولى .. ووزع المشرق العربى بين انجلترا وفرنسا كما توقع شكيب أرسلان .. أما المغرب العربى فقد كان شطر منه فى يد فرنسا من قبل . وكانت مصر فى قبضـــــة جيوش الاحتلال الانجليزية منذ الثورة العرابية . وكانت ليبيا محتلة بالجيوش الايطالية منذ غزتها قبيل الحرب العالمية . عند ذلك بدأ الاسلاميون يعيدون التفكير فى الموقف الذى آل اليه أمر المسلمين والعرب . وراوا أن البديل الوحيد من الجامعة الاسلامية بعد هزيمة تركيا وزوال الخلافة الاسلامية هو الجامعة العربية . اما دعاة الجامعة العربية السابقون فقد انقسموا شيعا . فالاسلاميون منهم ظلوا ثابتين على دعوتهم لم يغيروا ولم يبدلوا . وغلاة القوميين من المتأثرين باللبراليين والقوميين الغربيين ظلوا على ما كانوا عليه من الدعوة الى جامعة عربية مجردة من الاسلام غير مرتبطة به . وبعض الضعفاء منهم ممن تولوا المناصب فى ظل التقسيم الجديد الخاضع للاستعمار ركنوا الى الدعة وسكنوا الى النظم التى يعيشـــون فى ظلها ، بل اصبح بعضهم يدافع عن مصالحه فى هذه الكيانات المفتعلة الجديدة . اما الذين كانوا يتخذون الدعوة الى الجامعة العربية ستارا للتخلص من الدولة العثمانية واستبدال الاستعمار الفرنسى بها — وهم لا يمثلون إلا قلة ضئيلة من بعض مسيحيى الشام* — فقد اصبحوا متمسكين بوضعهم الجديد ، يعارضون كل تغيير أو تبديل فيه .

رد الفعـــل :

والواقع أن لهذا النفر من المسيحيين عذرهم فيما ذهبوا اليه . فقد لقى هؤلاء من عنت الحكام ومن فساد الادارة فى أواخر أيام الدولة العثمـــانية ما نفرهم من الارتباط بالحكم الاسلامى جملة ، ودعاهم الى تفضيل الاستعمار الفرنسى عليه . ومن الواضح ان تفكيرهم على هذا النحو هو ضرب من ضروب (رد الفعل) الذى يتسم دائما بالغلو والافراط والبعد عن الروية والحـكمة .

فرد الفعل عمل عصبى مرتجل لم يمحصه العقل ، وهو يتسم دائما بالعنف . فالذى يفر من النار قد يقذف بنفسه فى البحر او يقفز من علو شاهق . والذى يؤدب ولده لخطأ ارتكبه وهو فى سورة غضبه قد يؤذيه أو يقتله . والذى يقع تحت تأثير حزن عميق مفاجىء قد يسرع الى التخلص من الحياة انتحارا . وكل هذه صور من ردود الفعل الخاطئة التى يمكن ان يتفادى صاحبها ضررها وخطرها لو انه امسك عن التصرف فى سورة غضبه او حزنه أو خوفه ، ثم عاد للتفكير ولتقدير الموقف وحساب ما له وما عليه فى روية وهدوء وتعقل . فلنعد التفكير إذن معا فى هدوء .

عروبة اسلامية :

العروبة بطبيعتها وبحكم نشأتها ونموها وازدهارها والعوامل التى ضبطت هذا الازدهار والتطور هى عروبة اسلامية . وقد ساهم فى تطورها الحضارى على مدى القرون والأجيال عناصر عربية غير مسلمة . ولكن مساهمتها ظلت فى داخل الإطار الاسلامى الذى لم يكن يسمح لأحد بالخروج عليه . ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة فى ان تساهم فى بناء هذه الحضارة فى الحدود الاسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن تتعارض مع عقائدهم . بل ان تخطى هذه الحدود والخروج عليها فى كثير من الاحيان هو فى الوقت نفسه خروج على حدود دينهم وخوض فيما يحرّمه . وكان الاسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتها الدينية ويحظر التضييق عليها أو ممارسة اى لون من الوان الضغط لحملها على ترك دينها والدخول فى الاسلام . بل لقد كان الاسلام الذى يبيح للمسلم ان يتزوج غير المسلمة من الكتابيات يمنعه من إجبارها على ترك دينها واعتناق الاسلام . وقد ماتت ام خالد بن عبد الله القَسْرى وهو من كبار ولاة الدولة الأموية فى العراق على نصرانيتها . وكان ذلك مدعاة لتجنى أعدائه عليه ، كالذى نراه فى شعر الفرزدق حين يهاجمه قائلا :

الا قطع الرحمن ظهر مطية	أتتنا تَمَطَّى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وامه	تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه	وهدّم من كفر منارَ المساجد

ونصوص القرآن صريحة فى تأمين اليهود والنصارى وفى رعاية حقوقهم وتفويض الأمر فينا وفيهم لله . فالله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزّل عليه بقوله : « قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم . ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤) . ويخاطبه فى موضع آخر بقوله تعالى : « فلذلك فادع . واستقم كما امرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما انزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا اعمالنا ولكم اعمالكم . لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا واليه المصير » (الشورى ١٥) . والمسلمون هم المخاطبون بقول الله تعالى فى شأن اليهود والنصارى : « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتى هى احسن ، الا الذين ظلموا منهم — اى الذين يبدءونكم بالعدوان — وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم . وإلهنا والهكم واحد . ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) .

التسامح الاسلامى :

والدليل الناصع على ان المسلمين التزموا على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول ما امرهم به دينهم من إنصاف اهل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وانفسهم واعراضهم هو وجود هذه الجاليات الكبيرة بين اظهرهم فى

مختلف بلادهم من النصارى واليهود . وهو سلوك لا نوفيه حقه ولا ندرك قيمته الا اذا قارناه بما يقابله من صنيع محاكم التفتيش فى الأندلس بعد ان غادرها المسلمون . فقد لقى غير المسيحيين من المسلمين واليهود على يديها من التنكيل ما تسود له صفحات التاريخ . وانتهى الامر الى استئصالهم جميعا فلم تبق منهم باقية .

فالعروبة إذن شخصية معنوية لهـــا وجود تاريخى حقيقى ذو مقوّمات ثابتــة محدودة لا لبَس فيها ولا غموض . وليست مولودا جديدا تُقترَح له المقومات وتخترع له الأسس والمبادىء فى مصانع دعاة العروبة على اختلاف اجنحتهم وزعاماتهم . ولنسأل أنفسنا فى رؤية يحكمها عقل مجرد من الأهواء : ما هو البديل من عروبة اســـلامية .. ؟ العروبة لا يمكن أن تكون نصرانية ولا يمكن أن تكون يهودية ، لأن المسلمين يكوّنون لكثرة الكاثرة للعرب . فهل يكون البديل فى البلاد التى تسكنها كثرة نصرانية هو عروبة فى ظل حضـــانة أجنبية .. ؟ هذا أمر قد أصبح مرفوضا حتى من الذين ارتضوه بالأمس فى ظل الحكم العثمانى . وقد شارك المسيحيون انفسهم فى الخلاص من الاستعمار الفرنسى . وكثير من الذين وقفوا مع الفرنسيين معارضين حركة الاستقلال لم يكونوا فى الحقيقة يوازنون بين الاستعمار وبين الاســـتقلال . ولكنهم كانوا يوازنون بين الاستعمار الفرنسى وبين الاستعمار الانجليزى ، الذى كان فى تقديرهم هو البديل الوحيد من الاستعمار الفرنسى ، لأنهم كانوا يظنون الاستقلال شيئا بعيد المنال غير محتمل التحقيق .

والذى لا شك فيه هو ان الاستعمار فى كل صوره لا يســتمد رفاهيته إلا من التضييق على مســـتعمراته ، ولا يبنى عظمته الا على ما يســـلبه من كراماتهم . ولا ينفق على هذه المستعمرات ولا يبذل فيها من جهده لاصلاحها إلا كما ينفق المالك على مزرعته ليجنى من وراء ذلك ربحا اكبر ، وكما يُسمِّن صاحب المزرعة ابقـاره ليأخذ منها البـــانا اغزر ولحوما أثقل . وهو فى ذلك لا يفرق بين مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم . اقربهم اليه اعونهم له على ظلم قومه واستغلالهم . ثم ان الازدهار لا ينشأ من الثقة المتبادلة بين المستعمرين وبين بعض المواطنين ، ولكنه ينشأ من الثقة المتبادلة بين المواطنين جميعا ، بعضهم والبعض الآخر ، مســـلميهم ومسيحيهم ويهوديهم ، ما دامت الحريات الدينية مكفولة لهم جميعا على السواء .

لم يبق بعد ذلك كله من الفروض المحتملة للبديل من العروبة الاسلامية إلا أن تكون العروبة لا دينية ، بمعنى أن تكون مجردة من الارتباط بالقيم الدينية فى أى دين من الأديان . ولنتساءل من جديد : ما هى المزايا التى يمــكن أن تحققها عروبة لا دينية ، مما تعجز العروبة الاسلامية عن تحقيقه .. ؟

ارتباط العروبة بالاسلام :

الشخصية العربية كما رأينا هى شخصية عريقة تضرب عروقها فى أعماق التاريخ . وقد ارتبطت بالاسلام منذ نشأتها . ونمت وتطورت ونضــجت فى داخل إطاره ، دون ان يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان الســـماوية الاخرى التى نبعت من المنطقة ذاتها . فالاسلام هو الذى اعطى العروبة شكلها الثابت المحدد وجعل لهـــا شخصيتها المتميزة التى يلتقى عندها كل العرب ، لا يختلفون عليها ، ولا ينكرها احد منهم او ينفر منها . فاذا نحن جردناها من هذه القيم الدينية المسلّم بها عند كل العرب . فالماديون منهم سينزعون الى الماركسية ، فيقع الخــلاف بينهم وبين مخالفيهم ممن لا يرتضــون هذا المذهب اســاسا لتنظيم المجتمع . وسيشتركون مع اللبراليين فى السخرية من القيم

على اختلاف مِلَلهم . والمتحررون من الوجوديين والهيبيين وغيرهم ممن يتبعون كل ناعق يدعو الى الشهوات سينطلقون من كل قيد خلقى أو دينى ، فيؤذون كل ذى خلق وكل ذى دين .

وسيحاول فريق من الناس ان يعالج صراع الطوائف والشيع والمذاهب بالدعوة الى نظم جديدة للمجتمع فيفشلون ، ولا يزيدون على ان يضيفوا للمذاهب القائمة مذاهب جديدة تزيد فى احتدام المعركة وفى شـدة الصراع . على ان المسيحيين الذين يخافون على امنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا وابعد عن الأمن فى ظل عروبة لا دينية ، لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين الى عصبية جهولة عمياء تحطم وتعتدى وتظلم . فالخطر الحقيقى على غير المسلمين من العرب لا ينجم الا اذا نشـأ جيل من المسلمين يجهلون اسلامهم فى ظل العروبة اللادينية التى يدعو اليهـا بعض الناس ، لأنهم قد يتعصبون عند ذلك تعصبا اعمى ينحرف بهم الى ما كان الاسلام ينهى عنه آباءهم واجدادهم طوال اربعة عشر قرنا .

ولقد جربوا ذلك فى الحكم العثمانى من قبل ، فكانوا اسوا حالا فى حكم ملاحدة الاتحاديين بعد عزل السـلطان عبد الحميد . هذا الى ان قوام الديموقراطية التى يتغنى بها اهل هذا العصر هو نزول القلة على حكم الكثرة . فلماذا تجد القلة غير المسلمة غضاضة فى إقرار الكثرة المسلمة على بناء حياتهم فى ظل الاسلام وعلى هدى منه .. ؟

اصابع الصهيونية :

اما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع ذلك الفريق الذى اشرنا اليه من المسـيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقعون تحت تأثير ما توهموه من ان النهضـة الاوروبية الحديثة كانت ثمرة للتمرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية ، وهو وَهْمٌ لا يصح على التحقيق ولا يثبت على التمحيص . فالحركة الدينية البروتسـتانتية التى تمردت وقتذاك على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من اصابع الصهيونية وقد كان همها الاول هو هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت اكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العـداء . والبروتستانت اليوم هم اشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية واكثرها مساندة لها ماديا ومعنويا . ثم ان الازدهار الذى حققته هذه النهضة فى أوروبا لم ينتفع به احد كما انتفع به اليهود . جمع الثروات فى ايديهم وأمنّهم عليها مما كانوا يتعرضون له من المصادرات والتضييق والاضطهاد ، ومكن اجهزتهم من السيطرة على شئون السياسة والاقتصاد ، وافسح الطريق امام دعواتهم التى تنشر الالحاد والانحلال ، والتى ينفذون من خلالها الى ما يستهدفونه من السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها .

جرى ذلك كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان . وهى شعارات لم ينتفع بها حتى الآن سوى اليهود . لم ينتفع بها زنوج امريكا . ولم ينتفع بها الأفارقة والآسيويون فى مختلف البلاد التى عانت وتعـانى من صنوف الظلم والتسلط والاضطهاد الدينى والعنصرى .

وقد اعترف عزيز ميرهم ، وهو احد كبار الماسون ، فى مقال له نشر فى (السياسة) الاسبوعية سنة ١٩٢٦ م بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا وفى ايطاليا هم الماسونيون ، كما اعترف بأن زعماء الثورة الفرنسـية كانوا من الماسون ، وان مخلصهم هو الذى وضع شعار الثورة الفرنسـية « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » . واعترف كذلك بأن تركيا نالت دسـتورها بفضل عمل محافلها . وصلة الماسونية بالصهيونية العالمية مشهورة معروفة لم تعد اليوم تحتاج الى تعريف .

ثم ان ظروف العرب اليـــوم تختلف عن ظروف أوروبا يومذاك . فليست لدى العرب جهتان تتنازعان السلطة ، إحداهما دينية والاخرى سياسية ، كما كان الشأن فى أوروبا . بل ان المسلمين لا توجد عندهم سلطة دينية متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهـــاية القرون الوســـطى وفى مطلع عصر النهضة . فليس في نظام الاسلام رجال دين . هناك علماء تحكم فتاواهم نصوص اسلامية صريحة مكتوبة بلغة يقراها كل العرب ويفهمونها ولكل قادر على فهمها ممن الم باصول الاسلام ان يناقشـــهم فيها . وهم لا يكوّنون طائفة متميزة بعينها تنتمى الى جهاز خاص يرعاها ويدبر امورها . ولا يملكون من السلطة والجاه والمـــــال ما كان يملكه رجال الدين فى الكنيسة وقتذاك . فكثرتهم من الفقراء الذين لا تكاد دخولهم تكفى لسد الضرورى من نفقاتهم . ذلك الى ان واقعنا يختلف عن واقع اوروبا وقتذاك واهدافنا تختلف عن اهدافهم .

فالنهضة الاوروبية قد انتهت الى تفتيت الجامعة الاوروبية المســـيحية وتقسيمها الى دول شتى ، لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المســـتقلة . اما الحركة العربية فهى تستهدف جمع العرب بعد ان فرقهم الاستعمار ، وتتمسك بلغتهم العربية الجامعة لشملهم ، والتى هى وســـيلة التواصل بينهم افرادا وجماعات ، فى كتبهم وصحفهم واذاعاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ومعاملاتهم .

ذلك التقليد الاعمى من جانب غلاة القوميين المتـــاثرين بحركة الإحياء وباللبرالية والعلمانية والثورة الفرنسية فى اوروبا ، يذكرنا بقصـــة رمزية قديمة ، تتحدث عن حمارين كان احدهما يحمل ملحا وكان الآخر يحمل إسفنجا . راى حامل الاسفنج صاحبه ينزل الى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه اخف حملا . فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالاسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته اثقل حملا .

إن ما ينفع قوما قد يضر بآخرين . وما يزكو عليه نبات من العنـــاصر والأجواء قد يقتل نباتا آخر او يؤذيه . والناس فى ذلك ــ ككل خلق الله ــ طوائف وامم ، يتمايزون فى الطبائع والامزجة وفى اساليب الحياة ووســـائل التقدم والرقى . وقد يقتل بعض جماعاتهم ما تصح به جماعة اخرى .

واذا كانت العروبة ضرورة اقتصادية وحربية فى مجال الصراع العالمى الذى لم يعد فيه مكان للكتل الصغيرة لضعف امكانياتها ولعجزها عن الدفاع عن نفسها أمام الطامعين ، فان الوحدة الاقتصادية والحربية لا تتم على اساس من الاقتناع العقلى وحده . ولا بد لها ، لكى تكون وثيقة ودائمة ، أن تســـتند الى احساس عام مشترك ورغبة صادقة مخلصة فى مختلف بلاد العرب وعلى امتداد اوطانهم . وهذا الاحساس العام انما هو اتجاه عاطفى وتآلف قلبى أولا وقبل كل شىء .

فادراك الفائدة التى تعود على العرب من وحدتهم الاقتصادية او الحربية امر قد يدركه رجال الاقتصاد أو رجال الحرب أو خاصة الناس ومفكروهم على وجه العموم . أما العامة ــ وهم سواد الناس وكثرتهم ــ فلا ينساقون الى الوحدة الا بدافع من عواطفهم وما استقر فى نفوســـهم من معتقدات . وربط العروبة بالاسلام هو وحده الذى يجمع العرب على هذا الاحساس المشترك فيجعلهم يدا واحدة على عدوهم . وهو وحده الذى يمنح جهادهم صفة الاخلاص والفدائية وطول النفس فى المصابرة والجلد . على انه يجب ان نعرف فى كل حال ان الدولة العربية الواحدة ليست هى الصورة الوحيدة للجامعة العربية . وليس التحريض على بعض النظم العربية وتقســـيمها الى نظم رجعية ونظم

تقدمية هو السبيل الوحيد للوصول الى هذه الجامعة . بل لعل هذه الصورة وهذا الاسلوب يعوّق المسيرة ويؤخر الوصول الى الهدف ويقيم فى وجهه العقبات فى بعض الاحيان .

ولكن اللب والصميم فى هذه الجامعة العربية هو الحب المتبادل باخلاص دون شائبة من ريبة أو سوء ظن بين الحكام والشعوب على السواء . لأن الصراع فى أى صورة من صوره لا يفيد إلا العدو ، ولأن الحب والمحاسنة بين الاخوة هو اقرب الطرق الى تقويم الاعوجاج وتلافى الأخطاء .

ذلك هو حديث العروبيين الذين يجردون العروبة من الاسلام ، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم . اما الاسلاميون الذين يسيئون الظن بالعروبة او القومية العربية ، بدعوى انها تفتت الوحدة الاسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الاسلام فتجعل منهم عربا وغير عرب ، فلنا معهم حديث آخر .

إن الانحراف الذى صحب الدعوة فى اول نشأتها بارتباطها بحضانات اجنبية لا يصح ان يكون مبررا لمعارضتها الآن . فظروف نشأتها فى ظل دولة اسلامية جامعة للشمل تختلف عن ظروفها اليوم مع تفرق الشمل واختلاف الكلمة . فاذا كانت هذه الدعوة قد فتّت بالأمس فى عضد الجامعة الاسلامية فهى اليوم — اذا صححت مسيرتها — الخطوة الاولى فى الطريق الى هذه الجامعة . فالعرب هم اقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التى تربط بعضهم ببعض من ناحية ، والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى من ناحية اخرى ، وبحكم تجمعها وتلاصقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين اجزائه عوائق او فواصل طبيعية . وهم بحكم هذا التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة او تقاربها على الأقل مهيئون الآن يكوّنوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وتحمل من اعباء الارشاد والتوعية والرعاية ما تعجز الدول العربية متفرقة عن النهوض به .

وحدة البلاد الاسلامية :

فالجامعة العربية هى نقطة البدء التى لا بديل عنها فى هذه المسيرة الطويلة نحو جامعة اسلامية لا سبيل اليها الآن ، مع انشغال كل بلد من بلاد المسلمين بمشكلاته الخاصة ، ومع ترامى اطراف هذه البلاد ، وانعدام وسائل التواصل الصحيحة للاسلام ذاته الذى يُراد جمعهم عليه . فالوحدة الحقيقية المهيّأة اسبابها الآن هى وحدة البلاد العربية . اما البلاد الاسلامية الاخرى فلا بد ان تسبق وحدتها خطوات ، أولها نشر اللغة العربية ، التى لا تتم جامعة بغيرها .

إن مقاومة الأخطاء والانحرافات فى ادراك حدود العروبة ومقوماتها بالهرب منها وبمهاجمة العروبة ذاتها هو ضرب من ضروب العجز وضيق الحيلة . والحزم فى أن تواجَه هذه الأخطاء والانحرافات بتصحيحها وبيان زيفها . وسوف تكون العروبة الاسلامية عند ذاك مَحَطّ آمال المسلمين جميعا ومَهْوَى قلوبهم ، لأن الذين يعادونها منهم الآن إنما يعادونها لما غلب على لسان زعمائها ومتفلسفيها من فهم عنصرى يسقط الاسلام من حسابه حينا ويعاديه ويحاربه فى كثير من الأحيان ، بعد أن ترك الاسلاميون لهم الميدان يسرحون فيه كما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

---

* كان (يافيد) وزير مالية الاتحاديين يهوديا . ثم كان وزيرها من بعده (جاويد) الذى ينتمى الى طائفة (الدونمة) . وهم يهود يتسترون بالاسلام ويعيشون فى مجتمع مغلق فى (سلانيك) .
* واقول (بعض) لان فيهم عددا غير قليل من المتمسكين بعروبتهم المخلصين لها ..



للأستاذ/ق ٠ ق

لقد انعم الله سبحانه وتعالى على البشر بنعم لا تعد ولا تحصى . فلقد ميز الخالق عز وجل الانسان بنعمة العقل الذى ارتفع بواسطته عن الحيوان الأعجم . ووجدت الى جانب العقل الحواس والادراكات المختلفة . لتساعده وتزوده بالمواد الأولية للاستنتاج والاستنباط . وكانت مقدرة الانسان الفذة على الاختراع والابتكار تيسر له سبل المعرفة بصورة أسرع كلما مر عليه الزمن . وكان من المؤمل ان يشكر ذلك الانسان الضعيف خالقه لأنه يسر له من الامكانات ما لم ييسر للمخلوقات حوله . ولكن الانسان المغرور سرعان ما اغتر بما لديه من علوم وسرعان ما سيطرت عليه اكتشافاته فتمرد على خالقه الذى خلقه فسواه فعدله واضحى عبدا لمخترعاته التى صنعها بيديه .. انها رحلة طويلة عاد منها الانسان المغرور فى النهاية الى جزء من الحقيقة ، الحقيقة التى قررها القرآن العظيم قبل ثلاثة عشر قرنا الا وهى قصور العلم البشرى أو النقص الذى فطر عليه البشر .

ان العلم الالهى هو العلم الكامل الذى لا يند عنه شيء « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين** » ان العلم الالهى هو العلم الذى لا تحده الحدود : « **ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** » .

واما البشر فلا يستطيعون الاحاطة بهذا العلم . وهيهات ان يتحقق لهم شيء مما يريدون فان علوم الأولين والآخرين لو جمعت كلها فى صعيد واحد لن تكون الا بمقدار المخيط اذا دخل البحر . يقول الحق تبارك وتعالى : « **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** » وقد نبه القرآن الحكيم مرارا الى قصور العلم البشرى فقال تعالى : « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » وقال : « **ولكن اكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** » .

العلماء المسلمون : ومن اجل ذلك كان المسلمون اصحاب العقيدة السليمة بمنجى من الشطط والزلل والانحراف ، وكيف ينتابهم ذلك وهم يرتلون آيات الله ؟ وكيف يشط بهم التفكير ودعاؤهم : « **وقل رب زدنى علما** » ؟ وكيف ينحرفون وهم يعتبرون ان علومهم هى من فضل الله ومنته ، فهم يؤمنون بأن الله هو الذى « **علم الانسان ما لم يعلم** » ؟ ..

ان الحسن بن الهيثم هو عالم مسلم اكتشفت أوروبا ان هذا العالم قد الف كتابا فى علم الضوء اسمه المناظر . ولقد كانت اوروبا عالة على هذا الكتاب طيلة خمسة قرون . ولقد تبين لها ان روجر بيكون وليوناردو دافنشى وغيرهم قد نهلوا

قرر :

قصور العلم البشري قبل ثلاثة عشر قرناً ثم اضطر علماء العصر الحديث أخيراً إلى الاعتراف بذلك

من هذا الكتاب بل ربما نسخوا جزءاً كبيراً من هذا الكتاب ونسبوه الى أنفسهم اى ان هذا العالم قد سبق زمنه الذى عاش فيه ـ بالنسبة للتفكير الاوربى ـ خمسة قرون على اقل تقدير . فهل انتاب هذا العالم الغرور ؟ كلا لقد كان التواضع يسيطر عليه . فكان يصدر كتبه بحمد الله والثناء واستمداد العون فى جميع الأمور من الله وحده (١) . وهذه سمة التواضع وحذف هذه العبارة اول سمة من سمات التكبر والغرور وهى المنافذ التى تؤدى الى المروق والطغيان .

الفلسفة الحسية والغرور :

اما اوروبا فقد ظهرت فيها نزعة غريبة لقد نشأ فيها صراع بين كهنة ادعوا لانفسهم حق الهيمنة على مصائر المجتمعات وبين معسكر ادعى لنفسه حق احتكار العلم والسيطرة عليه . وظهر من المعسكر الأخير من حمل لواء الفلسفة الطبيعية الحسية ، وكانت تعضيدا لغرور الانسان بالاعتماد على الحواس فقط . وقد حمل لواءها اوجست كومت الذى تجرأ بادعائه انه يستطيع أن يضع الدين الطبيعى الحسى موضع التنفيذ . ولكن هذه الفلسفة انهارت حينما اتضح ان حواس الانسان محدودة القدرة وانه من الخطأ حصر المعرفة فى حيز ضيق محدود جدا . يقول كاميل فلامريون انه : « يوجد من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به .. هذه حقيقة علمية مطلقة وبدهية عقلية لا يمكن النزاع فيها فيمكن ان يوجد حولنا اشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا ان تصلنا بها .. فاذا تقرر وثبت بالدليل ان اعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود وانها تعطينا شعورات كاذبة او ضالة عن الكون المحيط بنا فلسنا نكون على شىء من التثبت ان اعتقدنا ان ما نراه هو كل الحقيقة بل مضطرون الى التسليم بضد ذلك قلنا ان كائنات حية يجوز ان تكون موجودة حولنا . فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فما هى تتكاثر حولنا بالمليارات والدور الذى تلعبه فى حياة الاجسام من الخطورة بمكان ، فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع (٢) .

انشتين عالم القرن العشرين يقر بقصور العلم البشرى : انشتين من اشهر علماء القرن العشرين وصاحب نظرية النسبية الخاصة والعامة ونظرية كموم الضوء والضوء الكهربائى والضوء الكيميائى كما انه صاحب محاولة لوضع قانون المجال الموحد . ولم يحز أى عالم الشهرة التى حازها انشتين . ومع ذلك فان هذا

العالم يقر بقصور العلم البشرى خدمة للعلم والحقيقة . يبين انشتين هــذا المعنى بعد حديثه عن جهود العلماء فى الكشف عن اسرار الطبيعة فيقول : « ولا تزال هذه القصة الغامضة دون حل ، بل انه لا يمكن الجزم بوجود حل نهائى لها . . فلا نزال بعيدين عن الحل الكامل اذا وجد وهو شىء بعيد الاحتمال . وفى كل مرحلة نحاول ان نجد تفسيرا يتفق مع الأدلة المكتشفة حتى ذلك الوقت . ولقد فسرت النظريات المبنية على التجربة كثيرا من الحقائق ولكن لم يكتشف الى الآن حل عام يتفق مع جميع الأدلة المعروفة . وفى كثير من الأحيان بعد الاستزادة من القراءة يتضح فشل نظرية كان يظن انها كاملة كافية ، وذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية أو يتعذر تفسيرها بها . وكلما تمادينا فى القراءة كلما زاد تقديرنا لكمال تصميم الكتاب رغم ان الحل الكامل يبتعد كلما تقدمنا (٣) . ومن الجدير بالذكر ان العالم المصرى المسلم على مصطفى مشرفة اكتشف خطأ وقع فيه انشتين فاضاف بذلك دليلا عمليا على قصور العلم البشرى ، ولقد اعترف انشتين بهذا الخطأ .

ومن الغريب ان انشتين وجمهرة كبيرة من علماء الذرة كانوا يعتقدون بعدم امكان تفتيت الذرة لو لم يتطوع انريكو فرمى بانقاذ هؤلاء من الاستمرار على هذا الخطأ ، وذلك بتفتيتها فعلا ، فاضطر هؤلاء الى الاعتراف بذلك واصبح الآن تفتيت الذرة من البدهيات التى يسلم بها الجميع . بل ان انريكو فرمى نفسه تفتت امامه الذرة فى احدى تجاربه قبل بدء الحرب العالمية الثانية بخمس سنين ولكنه لم يدرك ما حدث امامه واعتبر العلماء ذلك الجهل من الأمور التى انقذت العالم من كارثة استعمال الأسلحة النووية فى الحرب الأخيرة (٤) .

ول د يورانت وللفيلسوف ول د يورانت راى مشابه لانشتين فهو يفند الادعاء القائل بأن علم الطبيعة يقترب من المرحلة التى يبلغ فيها الكمال فيقول معلقا : « وجميع الدلائل تدل على العكس من ذلك . اما هنرى بوانكاريه فيرى ان علم الطبيعة الحديثة فى حالة من الفوضى فهو يعيد بناء جميع اسسه وفى اثناء ذلك لا يكاد يعرف اين يقف (٥) . وبذلك نرى ان العلم الحديث والفلسفــة الحديثة يعترفان بقصور العلم البشرى الحديث ويؤيد العلماء والفلاسفة هــذا الراى بل ويعتبرانه من مقومات العلم والفلسفة .

العلم البشرى بين الكمال والنقص :

ان قصور العلم البشرى من النعم التى انعم الله بها على البشر رفقا بطاقاتهم وعقولهم ليصبوا الى المعرفة دائما وليلجأوا بعد ذلك الى خالقهم الذى امدهم بالمعرفة والعلم لييسر لهم سبل العيش فى هذه الدنيا وفقا لطاعة خالقهم ومرضاته أما الاعتقاد بكمال العلم الحديث فمعنى ذلك اغلاق باب المعرفة وسد باب العلم ومنع البشر من التقدم والمعرفة (٦) .

---

(١) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها للمؤلف .
(١) على أطلال المذهب المادى .
(٣) تطور علم الطبيعة .
(٤) العلم معنى وطريقة .
(٥) مباهج الفلسفة .
(٦) قصور العلم البشرى (للمؤلف) .



للدكتور محمد اسماعيل الندوى

لقد اكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا أن اليهود حرفوا شريعتهم لتحقيق اغراضهم الشخصية وكسب المال .. وذلك فى مثل قوله تعالى : ((**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضـــعه**)) (النساء ٤/٤٦) . ومثل : ((**وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**)) (البقرة : ٧٥) ((**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ليشـــــتروا به ثمنــــا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون**)) (البقرة : ٧٩) .

ولكن السؤال الهام فى هذا الصدد هو : كيف كان هذا التحريف .. ؟

الواقع أن الشريعة اليهودية مرت بتطـــورات عديدة منذ وفاة موسى عليه السلام ولا يمكننا فى هذه العجالة حتى عرض بعضها . والقرآن قد اشار فى الآيات المذكورة الى اليهود فى عصر الرســــول صلى الله عليه وسلم ، ولذا ينبغى لنا متابعة التطورات التى حدثت منذ عام ٧٠ م ، إذ قد دمر فيه الرومان معبدهم فى القدس وشتتوا شملهم . ومنذ ذلك الحين دخل اليهود فى طور جديد . والأساس الذى قامت عليه اليهودية فى ذلك الحين هو نفس الأساس حتى عصر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول المؤرخون اليهود المعاصرون فى هذا الصدد : « ان جميع الفرق اليهودية قبل عام ٧٠ م قد اجمعت على الايمان بالمبادىء الأساسية الواردة فى التوراة ، واعتبرت المعبد فى يروشلم بيت الله لجميع اسرائيل . وكذلك اتفقت على الروحانية ووحدة الاله ، ولم ترض بالمناقشة والجدل فى هذه الأمور . وكذلك صارت قداسة التوراة لموسى فوق مستوى النقاش » .

كما أن العقيدة المسيحية لم تتخذ بعد الصبغة الفلسفية . وبما أن شرائع موسى صارت دستور الحياة اليهودية للشئون الداخلية والخارجية أصبح من المحتوم أن تكبر هذه الشرائع وتضاف اليها إضافات جديدة وفق الظروف والمتطلبات . ومما لا شك فيه أن القوانين الدينية والمدنية والجنائية والتنظيمية الموجودة فى التوراة لم تكن تكفى لمتطلبات العصر ، ولذلك أصبح من اللازم أن تفسر هذه القوانين كلها من جديد لتنطبق على الحياة المتطورة ويمكن تطبيقها على شئون الحياة بسهولة وتكييفها وفق الظروف المتغيرة .

لقد وجدت فى توراة موسى مادة خصبة تستطيع بها تطوير القوانين وفق الظروف ، كما دعت الظروف — من ناحية اخرى — الى استنباط ووضع أسس جديدة لصياغة القوانين وفق المطالب الحديثة والظروف الطارئة تلك التى كانت تفرضها الحياة بسبب الضغوط عليها من الداخل والخارج . ومن هنا كان طبيعيا أن تظهر آثار وتقاليد جديدة الى جانب شرائع موسى وتنمو وتزدهر وتسير جنبا الى جنب مع التوراة تلك التى كانت فى الحقيقة مما اضافه أصحاب التوراة وتضمن الاحداث السابقة الماثلة والمبادىء الأساسية التى كانت ضرورية للقوانين المنتظمة المنسقة الدقيقة . وبما أن هذه الآثار كانت فى نمو وتزايد مستمر ومفعمة بالحيوية بسبب السيطرة الالهية عليها ولذلك حمل الدكاترة على عواتقهم أعباء جمع وتنسيق هذه القوانين الغير مكتوبة وجعلها على قدم المساواة مع توراة موسى المكتوبة ، وهؤلاء الدكاترة هم الذين سموا بالربيين (اى رجال القانون والشريعة) وسميت هذه المدرسة الفقهية أو القانونية بالمدرسة الربانية(١) .

لقد خولت فى التوراة الشفوية سلطات واسعة للفقهاء ورجال الدين فى كل جيل يهودى ، وفى جميع العصور لسن القوانين من تلقاء أنفسهم دون قواعد وأصول ، وذلك وفق الظروف الراهنة والمطالب العصرية ، واستنتج هؤلاء هذا الأمر على ضوء تفسير دقيق لبعض النصوص الواردة فى التوراة مثل :

١ — ارسل يهوه يربعل وبدان ويفتاح وصموئيل وانقذكم من يد اعدائكم الذين حولكم فسكنتم آمنين(٢) .

٢ — موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه . دعوا يهوه وهو استجاب لهم(٣) .

إن هذين النصين يدلان — على حد قولهم — على أنه فى كل عصر من العصور يكون ثلاثة من كبار الشخصيات على منوال الثلاثة الاقطاب من اليهود القدامى وهم : موسى وهارون وصموئيل . كان يربعل فى جيله بمثابة موسى ، وبدان بمثابة هارون ، ويفتاح بمثابة صموئيل . ومن هنا يتحتم على اليهود ان يتعاملوا مع كل زعيم دينى لهم مهما كان صغيرا نفس معاملة موسى وهارون وصموئيل ، لانهم ورثاؤهم ويحلون محلهم فى قيادة اليهود وسن القوانين من اجلهم .

ثم يلجأون الى نص آخر ورد فى التوراة وهو : « اذهب الى الكهنة واللاويين والى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام واســـــال فيخبروك بأمر القضاء »(٤) . ويستدلون منه ان كل عصر من العصور لن يخلو من وجود القضاة ومعناه : ينبغى تعيين القضاة فى كل العصور ليذهب اليهم اليهود فى طلب العدل وفصل الحكم .

وكذلك استنتجوا من نص آخر : لا تقل : لمـــــاذا كانت الأيام الاولى خيرا من هذه ؟ لأنه ليس عن حكمة تســـــال عن هذا (٥) ؟ اى ان عصرا من العصور لن يخلو من خير الناس من امثال موسى وهارون وصموئيل ، بل علماء العصور سوف يحلون محلهم وينوبون عنهم ، ويقومون بدورهم فى قيادة اليهود وهدايتهم وسن القوانين الجديدة من أجلهم . وهذا يدل كذلك فى نفس الوقت على ان كل تلميذ بارز فى كل عصر من العصور يحق له ان يفتى وينير طريق الناس واستاذه حتى يرزق ، وبهذا امر الله موسى فى سيناء(٦) .

كيف سن اليهود قوانين جديدة للظروف الجديدة .. ؟ من المعروف ان اليهود لم يطبقوا التوراة المكتوبة فى حياتهم العملية ، ولم تقم عليها دولتهم الى تدمير يروشلم فى المرة الاولى فى عام ٥٨٧ ق. م ، لأن تلك المجتمعات قامت على العقيدة الوثنية والحضارة المستوردة من الشعوب العربية المحيطة بهم . لقد اقتضت الضرورة التمسك بالتوراة ـــ اى القـــوانين الواردة فى الأسفار الخمســة ـــ ايام المحن والآلام فى بابل . وهنا نظم كبار علمـــــائهم امثال حزقيال وعزريا حياتهم الدينية ، وبفضل جهودهم انشـــــئت المراكز الدينية (السيناغوغو) فى انحاء بابل ، ثم نظموا المعبد بعد العـــودة فى العصر الفارسى ، ودونوا اسفار العهد القديم ، وظهرت على يدهم التوراة الشفوية ، وهى فى الأصل خلاصة تجارب الشـــــعوب الاخرى ومبادئها وعقائدها وقوانينها .

ومن المعروف ان القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة للتوراة كانت محدودة للغاية ، ولا يمكن تطبيقها فى كل الظروف والاحوال كما قلنا . ومن هنا لجأ الفقهاء اليهود الى القوانين الاجنبية مثل القوانين الفارسية والاغريقية والرومانية والى صياغتها وتكييفها وفق احوالهم وحاجاتهم ، وسموا هذه العملية من الاستيراد والصياغة الجديدة بالشرح والتفسير للتوراة المكتوبة .

وكانت هذه العملية تتم على يد لجنة كبرى من الفقهاء ويتم البت واتخاذ القرارات فيها وفق اغلبية الآراء . وعزوا هذا الأمر الى موسى ، واوردوا فى التوراة الشـــفوية مرارا وتكرارا وهو انه فى محادثة جرت بين الله وبين موسى : « قال موسى : يا ملك الكون ، كيف يكون القرار النهائى فى أمر قانونى ؟ رد الله عليه : ينبغى مسايرة آراء الاغلبية . واذا قررت الاغلبية ان شيئا ما مفيد صالح فيكون هذا القرار نهائيا ويعمل على وفق هذا القرار ، واذا قررت الأغلبية رفض شيء او تحريمه فهو يكون مرفوضا ومحرما »(٧) .

نسخ شريعة التوراة :

يعتقد اليهود ان الأوامر والوصايا الواردة فى التوراة الشفوية خالدة خلود الدهر وثابتة لا يمكن تغييرها او تبديلها إلا اذا تغيرت الظروف والأحوال ،

وجعلتها عديمة الجدوى . ومستحيلا تطبيقها مثلما حدث بالنسبة الى القرابين والقوانين الزراعية بعد تدمير المعبد فى يروشلم وتشريد اليهود وتحويلهم الى عبيد وأرقاء . فقد الغيت كل هذه القوانين مؤقتا الى أن تعود الأمور الى نصابها . لقد لعبت التوراة الشفوية دورها فى حياة اليهود فى مثل هذه اللحظات الصعبة بسبب مرونة قوانينها وسهولة تشريعاتها . وبمعنى آخر فإن التوراة الشفوية هى التى انقذت اليهودية وحافظت عليها وحالت دون انصهارها وإذابتها فى بحار الأديان الأخرى (٨) .

إن دل هذا الكلام على شىء فإنما يدل على أن التوراة الشفوية التى كانت فى الحقيقة موسوعة كبرى لتجاوب الشعوب الاخرى وافكارها وقوانينها وشريعتها تبدأ أصلا من الديانة الزردشتية والنظم القانونية الفارسية وتنتهى بالقوانين الرومانية والمبادىء الغنوصية والافلاطونية الحديثة ونظريات رجعية أخرى نسجتها عقول الفريسيين المتزمتة وافكارهم الضيقة العقيمة التى تملك مادة قانونية كافية لتحل محل التوراة المكتوبة فى كل الظروف والأحوال .

وحينما نمعن النظر فى بعض القوانين التوراتية التى لم تصلح للمجتمعات المدنية نجد أن فقهاء اليهود يلغونها إلغاء تاما وعمليا ثم يفسرونها تفسيرا جديدا من تلقاء انفسهم دون سند أو حجة فيصبح تفسيرهم هذا خارج نطاق التوراة كلية .

وإليكم بعض النماذج :

١ ــ لقد جاء فى التوراة : « فى آخر سبع سنين تعمل ابراء » (أى تبرئة ذمة المديون) . وهذا هو حكم الإبراء : يبرىء كل صاحب دين يده مما اقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بابراء ليهوه . الأجنبى تطالب . وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه . إلا إن لم يكن فيك فقير(٩) .

يقول الدكتور كوهين فى تعليقه على هذا الحكم : إنه يلزم على الراهن أن يعفى المدين عن دينه له بعد كل سبع سنوات ، وإن لم يعف عنه بعد مضى ست سنوات فالقانون يبرئه فى السنة السابعة بصورة إجبارية ولا يستطيع المطالبة بدينه بعد ذلك إطلاقا . هذا وأما الأحكام الواردة فى النصوص المقدسة غير التوراة المكتوبة فانها تذكر فعلا الخيرات التى كان يقدمها الاسرائيليون للفقراء والبؤساء من أبناء قومهم ، ولكنه لم يتحدث عن القروض التى تمت بالعقود بين الدائن والمدين فى الشئون التجارية بانها اعفيت بهذا الطريق . وان هذا القانون من الناحية الاخرى يشير الى انه كان مطبقا على المجتمع البدائى الذى لم يكن يوجد فيه إلا الملاك الصغار ، وكل واحد كان يعتمد على انتاجه الشخصى . ولما تغيرت هذه الظروف وتبدل هذا المجتمع وانتقلت الحياة الى طور جديد تعتمد على التجارة المتبادلة أصبح هذا القانون من التوراة معرقلا وعائقا فى طريق التطور والتقدم ، واستبدت المخاوف بعقول الناس أن الديون المتبادلة فى الشئون التجارية سوف تضيع بعد مضى ست سنوات ، وتصبح تبرعات وإعانات . وبهذا واجهت الحياة اليهودية عراقيل كبرى تترتب عليها مشكلات كبرى .

وهنا يأتى دور كل من الصدوقيين والفريسيين (وهما من الفرق اليهودية الرئيسية فى عصر المسيح) . فالأولون يقولون : انه ليست هناك أية عرقلة ، بل ينبغى تطبيق حكم التوراة بالحرف . وأما الآخرون ومثلهم

هيليل ــ رئيس جماعة الفريسيين ــ فلم يقتنع بهذا القانون ، ولم يتفق مع الصدوقيين فى تفسيرهم اياه . بل حاول الرجوع الى الآثار والتراث راجيا ان الدراسة العميقة من هذا القبيل سوف تحل هذه المشكلة العويصة من الاساس .

لقد فسر هيليل هذا القانون على الوجه التالي : إن الدائن اذا اعطى المدين دينا بدون تعاقد رسمي ، فسوف يعفى بعد ست سنوات ، ولكنه اذا تعاقد وقدم المستندات الى المحكمة لتثبت الدين فانه يستحق الدين ، ولن يعفى المدين من الدين ابدا ، مهما كان الامر . ولو مضت سبع سنوات .

ثم يقول كوهين تعقيبا على تفسير هيليل : ان هذا التفسير يعطى للتوراة حياة ابدية لتواصل عملها فى كل العصور ، وذلك عن طريق تفسير احكامها تفسيرا جديدا يطابق روح العصر ومقتضى الظروف (١٠) .

٢ ــ وهناك مثال آخر لهذه الظاهرة يدل على انه تحريف واضح للنص الوارد فى التوراة بوضوح وصراحة : « وإذا احدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل له . كسر بكسر وعين بعين وسن بسن . وكما أحدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه . من قتل بهيمة يعوض عنهــا ومن قتل إنسانا يقتل . حكم واحد يكون لكم . الغريب يكون كالوطنى . إنى أنا الرب إلهكم »(١١) .

وهذا حكم واضح جلى لا غموض فيه ولا إبهام ، ولا لبس فيما يتعلق بالقصاص . ولكن الربيين فى التلمود ابطلوا الروح الأصلية لهذا الحكم ، والغوا القصاص بالكل وفرضوا التعويض المالى مكانه فى كل الظروف دون استثناء(١٢) .

وهنا نتساءل : هل يمكننا ان نعتبر هذه الظاهرة بمثــــابة النسخ او الاجتهاد فى شريعتنا الاسلامية .. ؟ وللاجابة على ذلك ينبغى لنا التحقيق فى معنى النسخ والاجتهاد فى الشريعة الاسلامية .. ؟

النسخ فى القرآن :

يقول الله سبحانه : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها . الم تعلم ان الله على كل شيء قدير »(١٣) .

يقول الشيخ الخضرى فى شرح معنى النسخ : النسخ فى اصــطلاح الفقهاء يطلق على معنيين : الأول : إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق ومثاله ما ورد فى حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبــــور ، الا فزوروها » . فالنص الأول يطلب الكف عن الزيارة ، والنص الثانى يرفع ذلك النهى ويحل محله الإباحة أو الطلب . والثانى : رفع عموم نص ســـابق او تقييد مطلقه ، ومثاله قوله تعالى فى سورة البقرة : « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء » . ثم قال فى سورة الأحزاب : « إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لــــكم عليهن من عدة تعتدونها » . فالنص الأول عام ينتظم المدخول بها وغيرها ، والنص الثـــــانى يعطى غير المدخول بها حكما خاصا بها (١٤) .

وهنا نجد ان النسخ فى الشريعة الاسلامية ليس معناه : إلغاء حكم شرعى الغاء تاما وإحلال حكم جديد محله وفق الظروف الراهنة من خلال الاجتهاد والآراء الشخصية للفقهاء او بناء على الآراء الأكثرية للفقهاء ، بل

معناه : تخصيص حكم وارد فى القرآن او الحديث أو تعميمه بحكم آخر على نفس المستوى الذى ورد فى نص القرآن او الحديث . وبهذا لا يتجاوز النسخ فى الشريعة الاسلامية حدود الله ، فى حين يصبح النسخ فى الشريعة اليهودية إلغاء حكم الله بسبب عدم ملاءمته للظروف وفق الآراء الأكثرية للكهنة الهيود . وهذا تجاوز وعدوان على حكم الله ، وشراء ثمن قليل ببيع حكم الله وتحريف وتشويه لما ورد فى التوراة .

وأما الاجتهاد فى الاسلام فيطلق على معنيين :

الأول : المعنى الأسمى الذى هو وصف للمجتهد قائم به ويعرف بأنه : ملكة يقتدر بها على استنباط الاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

والثانى : المعنى المصدرى اى فعل المجتهد وهو : بذل اقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط من الادلة الشرعية(١٥) .

والدليل على اعتباره : الكتاب والسنة والعقل : فالفقيه المسلم لا يجتهد إلا إذا لم يجد حكما فى كتاب الله او سنة رسول الله الثابتة ، فيجتهد حينئذ على ضوء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله فى حكم مماثل او مشابه له . وبهذا لا يخرج المجتهد المسلم عن إطار كتاب الله وسنة رسوله حتى فى الأمور الاجتهادية ، فى حين يملك الكنيست اليهودى حق الغاء احكام التوراة أو تفسيرها تفسيرا جديدا بعيدا عن مفهومها بعدا شاسعا واتخاذ القرار فى هذا الصدد وفق اغلبية اعضاء الكنيست .

إن الإبداع والاختراع ممنوعان منعا باتا فى الاجتهاد عند العلماء المسلمين . يقول الإمام السيوطى فى ذلك : لا شك ان المجتهد يحرم عليه إحداث قول لم يقل به احد ، واختراع راى لم يسبق إليه . ولهذا كان من شروط الاجتهاد معرفة اقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم اجماعا واختلافا ، لئلا يخرق الاجماع فيما يختاره . فوجب ذكر اقوال العلماء فى هذه المسألة ، قبل اقامة الدليل ، لكون الكتاب مؤلفا على طريق الاجتهاد(١٦) .

---

(١) History of the Jews by Paul Goodman's P : 31

(٢) صموئيل الأول ١١/١٢ .

(٣) المزامير ٦/٩٩ .

(٤) تثنية ٩/١٧ .

(٥) الجامعة ٧ .

(٦) .. .. ؟

(٧) Everyman's Talmud P : 148

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) تثنية ١/١٥ — ٤ .

(١٠) انظر المقدمة : Everyman's Talmud P : 22

(١١) لاويين ١٩/٢٤ — ٢٢ .

(١٢) Judaism by Gsidore Epstein : P : 187

(١٣) البقرة : ١٠٦ .

(١٤) تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة السادسة بالقاهرة) ص ٢٣ .

(١٥) صون المنطق والكلام من فنى المنطق والكلام (طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) ١/١٧ .

(١٦) .. .. ؟

من نوادر المخطوطات :



دستور الاعلام

نموذج من التراجم الاسلامية

للأستاذ : محمد محمود زيتون

من الجوانب المضيئة فى الثقافة الاسلامية ، على مدى الاربعة عشر قرنا الماضية ، ذلك السيل الدافق من المؤلفات عن اهل المعرفة ، على اختلاف ميادينها ، واتجاهات فرسانها ، وابقى التاريخ لنا هذا التراث الضخم ، ومنه ما سرق من خزائن الكتب الاسلامية ، واودع مكتبات الشرق والغرب ، ومنه ما تم طبعه ، وما لا يزال مخطوطا او مفقودا ، ومع ذلك تتابعت السلاسل ، وهى تحمل الينا إشارات تدل على ما كان للسابقين من فضل على تراثنا ، وما كان لمن لحق بهم من وفاء وإخلاص .

اوعية الفكر الاسلامى

ولا شك ان الباعث الأول لتسجيل اهل المعرفة الإسلامية هو الاعتراف

بما لهم من عمل مجيد ، والاشادة بما اشتهروا به من خلق حميد ، ليكونوا — بهذا وذاك — هداة لمن يجيء من بعدهم ، على طريق النور ، واتسع الباب جيلا بعد جيل ، فإذا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ يحتلون مكاناتهم فى التاريخ ، فى طبقات صغرى وكبرى ، او مشيخات او وفيات ، عقب كل سنة او كل قرن او كل عهد ملك او سلطان او رئيس ، واحيانا فى تراجم او معاجم أو مشيخات او اثبات او تواريخ او ذيول ، او غير ذلك من التسميات المعروفة .

وكلما كان احدهم يفلت من هذه (الأوعية) التى قد تكون شاملة ، وقد تكون متخصصة ، فاذا بنا نطمئن الى وجود اعلام الفكر ، وقد انخرط كل واحد فى سلك اصحابه من المفسرين والمحدثين والرواة والحفاظ والقضاة والقراء والزهاد والنحاة والشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخين والرحالة ، من المالكية أو الشافعية او الحنابلة أو الأحناف،من البغاددة او الدماشقة او الاسكندرانيين أو المغاربة او غيرهم ، وغالبا ما كان احدهم يكمل ما فات السابقين عليه ، وينقد ويصحح ويزيد ويمضى حتى يسلم الراية لمن بعده ، وهكذا ، كما نعلن السيوطى مثلا فى (حسن المحاضرة) و (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) لإكمال ما فات أبا الربيع الجيزى ، دفين الجيزة بمصر .

والنموذج الذى نعرضه على القارىء فى هذا المقال ، فريد فى نوعه من كافة الوجوه ، ولهذا آثرنا ان ننوه به ، ليقف ابناء هذا الجيل ، على ما قدمه لنا السابقون خلال اجيال متباعدة ، ومن امصار متفاوتة، كعمل متكامل يمسك بعضه بعضا ، على غير المعهود عندنا وعند غيرنا .

الكتاب .. و .. المؤلف

والكتاب « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » مخطوط قديم فى مجلدين بمكتبة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤٢ ب ، ومؤلفه هو ابن عزم (بفتح العين والزاى) من أهل القرن التاسع الهجرى ، وظل يعلق عليه من بعده عدد من المؤلفين المعنيّين بعلم الرجال . طوال خمسة قرون من بعده حتى يومنا هذا .

اما المؤلف الأول الذى كان رائدا لهم جميعا فهو المحدث المؤرخ : شمس الدين — او جمال الدين فى بعض الروايات — محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عزم التونسى نزيل مكة ، ولد بتونس عام ٨١٦ هجرية ، وقدم مصر ، ورافق السخاوى صاحب (الضوء اللامع) فى الاشتغال بالتاريخ والتراجم ، وجاور بمكة وبها توفى عام ٨٩١ هجرية ، وقد ترجم له فى صلب كتابه احد

المذيلين عليه وهو المنلا — اى المولى او الشيخ — قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى فقال : « وابوه ابن عزم التميمى المتوفى عام ٨٤٦ إمام اهل الحساب والمساحة والنجوم وغيرها واسمه ابوحفص عمر بن محمد بن احمد » .

فهو إذن من بيت علم ومعرفة واسعة ، ولهذا اشتمل كتابه على تراجم — وإن كانت غير مسهبة — عن عدد ضخم من الأعلام ، فى شتى النواحى الثقافية ، ومن مختلف البلاد الإسلامية ، ورتبه على حروف المعجم وجعل لكل حرف خمسة ابواب : المشهورين بالاسم ، والمشهورين بالكنية والمشهورين بالنسب او اللقب او السبب ، والمشهورين بابن فلان ، والمشهورين بصاحب ، وضرب لكل ذلك امثلة يوضح بها تبويبه وتصنيفه، « وكل ذلك باختصار » على حد قوله .

دستور فى التراجم

وعلى هذا يذكر لنا ابن عزم الشخص باسمه واسم ابيه ، واسم جده ، والسنة التى توفى فيها بالقلم الهندى وبلده ومذهبه ومكانته العلمية واشهر مؤلفاته ، او يقول عنه إنه (صاحب التصانيف) ، وينوه به وبشهرته . فيذكره بقوله مثلا : (مسند قطره) او (مسند وقته) او (مسند الدنيا) او (مسند الآفاق) بما يناسب التعريف به عن عدالة واتزان ، ويقصد المؤلف بذلك ان يكتفى القارىء بهذا العمل متى اراد ، وإلا فهو له كالمدخل الى التواريخ المطولة ، كما نلحظ ذلك فى تراجم السخاوى لرجاله بإسهاب وتفصيل ، [ولهذا سميته — كما يقول ابن عزم — « دستور الإعلام بمعارف الأعلام »] .

والاختصار الذى اشار اليه ابن عزم متفاوت فى ثنايا كتابه ، فاحيانا لا تزيد الترجمة على سطر او سطرين ، واحيانا تبلغ ستة اسطر ، وقلما تزيد ، ومع ذلك ، فإن عظمة المؤلف تتمثل فى القدرة على الإيجاز الوافى بالمطلوب ، مما يشجع فعلا على اتخاذه (دستورا) او مدخلا للتواريخ الكبار كتراجم (الضوء اللامع) للرجال والنساء على السواء فى فترة معينة وهى القرن التاسع .

على ان التعليقات — او الذيول المتعاقبة — التى حظى بها المؤلف على كتابه من بعده ، قد زادت من اهميته، ورفعت من قدره ، إذ أن الزيادة او الإضافة التى اتى بها كل من المعلقين عليه الستة ، قد اكسبت الكتاب ما لم يكن يحلم به المؤلف الأصلى ، من شهرة لكتابه ولنفسه ، كواحد من اصحاب التراجم ، والتراجم المنوعة بصفة خاصة ، ولا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء المعلقين كانوا ينتمون الى بلاد او قرى شتى فى الوطن الاسلامى ، ومع ذلك التقت مشاربهم، فاكمل بعضهم عمل البعض ، فى تعاون وفىّ ، له قدره من غير شك فى مجال التصنيف ، فجاء تعقيب كل منهم — او (الذيل) — نابعا من معلوماته الخاصة غير المنقولة عن غيره ، ولاسيما إذا كان المترجم له من مواطنيه ، مما يزيده اهتماما به .

ذيول ورموز

ومما هو جدير بالذكر هنا ، ان تلك الإضافات لم تختلط بالمتن الأصلى للكتاب ، بل تميز بعضها عن بعض بطريقة سهلة ، فكان كل تعليق يبدأ بحرف يرمز الى صاحبه ، فهذا تعليق حمزة الحسينى يرمز إليه بحرف (ح) ، ورمضان حلاوة بحرف (ض) ، وهكذا ، ولذا يستطيع القارىء أن يميز بين الأصل وبين الزيادات وأصحابها ، وهو مطمئن الى مجهود كل منهم على حدة .

ولتوضيح هذا العمل الفريد فى نوعه من المعاجم والتراجم نقول إن المؤلف يتكلم مثلا عن (الشاذلى) واسمه إبراهيم ، ثم يزيد عليه المعلق الأول او المذيل الأول ، فيضيف شخصا آخر لقبه الشاذلى ايضا ، ولكن اسمه محمد او احمد او غيره ،

ثم يأتى المعلق الثانى — إن وجد — فيعلق بشخص آخر لم يذكره من سبقه أو يضيف جديدا الى ما ذكره السابقان عليه ، أو يصحح خطأ وقع فيه أحدهما أو كلاهما ، او يزيد بما لديه هو من معلومات لم يسبقه اليها غيره من مولد أو وفاة أو غير ذلك ، وفى كل تعقيب يضع المعقب الحرف الذى يرمز به الى اسمه ، وغالبا ما لا نجد التعقيبات إلا من اثنين أو من واحد لا سواه ، ومن هنا نضمن عدم الوقوع فى الخلط بين والد وولد ، أو بين شخص واخيه .

اصحاب الذيول

واصحاب الذيول على « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » — كما هو فى المخطوط الذى بين يدينا — ستة هم :

١ — (ح) ويرمز الى حمزة بن احمد بن على بن محمد بن على الحسينى الشافعى الدمشقى صاحب كتاب (المنتهى فى وفيات أولى النهى) ، والمتوفى ببيت المقدس عام ٨٧٤ هـ .

٢ — (ق) ويرمز الى المنلا قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى ، ولا ندرى عنه شيئا ، والأغلب انه فارسى الأصل .

٣ — (هـ) ويرمز الى إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجنينى من جنين ثم سكن دمشق ، وتوفى عام ١١٠٨ للهجرة

وله تتميم فتاوى شيخه خير الدين الرملى ، ورسائل تاريخية ، و « رحيق الفردوس فى حكم الريق والبوس » و « نتيجة الفكر فيما يتعلق بأحكام الذكر » .

٤ — (ز) ويرمز الى زين الدين ابن محمد البصروى الدمشقى .

٥ — (هب) ويرمز الى إبراهيم بن السيد بن نقيب الأشراف الشهير بابن حمزة .

٦ — (ض) ويرمز الى رمضان حلاوة السكندرى ، وهو آخر المعلقين على الدستور ، الذى لا يزال مخطوطا الى يومنا هذا .

كان رمضان حلاوة آخر هؤلاء الستة المذيلين ، وهو — على ما نعلم — سكندري الأصل والإقامة ، كان حيا عام ١٨٧٢ ، وكان أديبا ممتازا له تشطير للبردة ، وله تقريظ فى نهاية كتاب (سراج الملوك) للطرطوشى بتاريخ ١٢٨٩ هـ ، وختمه

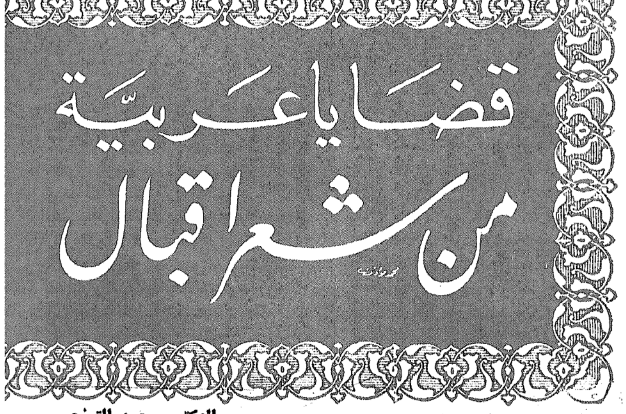
ببعض ابيات من الشعر غير متينة السبك والحبك ، ومن اسرته سلامة حلاوة القصرى المتوفي عام ١٨٨٥ (= ١٣٠٣ هـ) ، وكان من اساتذة المدرسة البحرية بالاسكندرية . وقد ولد بقزية (قصر بغداد) بمحافظة المنوفية من ارض مصر ، وله مؤلفات بحرية وفلكية وهندسية وخرائط ، مما يدل على ان رمضان حلاوة قد نشأ فى بيئة علمية ، كما أن رمضان هذا كان من اصحاب عبد الله النديم السكندري الكاتب الشاعر والخطيب الثائر المجدد ..

الذيل الأخير

ومن توفيق الله تعالى وفضله على المثقفين ، اننا قد عثرنا على إضافة سابعة بعد تذييل ابن حلاوة الذى انتهت به المخطوطة ، وقلما يعرفها احد من المعاصرين المعنيين بهذا الميدان من الثقافة ، وعنوان هذا الذيل « التزام الملتزم من تتمة تاريخ ابن عزم » لصاحبه محمد صالح الجارم الرشيدى (نسبة الى مدينة رشيد شرقى الاسكندرية وعلى مصب النيل فرع رشيد) والمتوفى عام ١٣٢٨ هجرية ، وهو والد الشاعر العربى المعروف على الجارم، وهذه الإضافة مرموز إليها كغيرها بحرفى (مح) ، وعلى الرغم من انها مفقودة الى يومنا هذا ، إلا ان صاحب (اليواقيت الثمينة) وهو البشير ظافر الأزهرى ، قد اطلع عليها فى مكتبة صاحبها الجارم برشيد ، ونقل عنها كثيرا من أعلام المالكية ، ولاسيما من كان من اهل رشيد ، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا عن عدد كبير من أعلام رشيد فى القرن الماضى ، ومنهم المجاهد حسن كريت الذى تزعم حركة النضال الشعبى فى رشيد لسحق الغزو الانجليزى بها ، وقد بذلنا اقصى الجهود لدى آل الجارم ، وفى مكتبات مساجد رشيد للعثور على بصيص من الأمل للحصول على هذا المخطوط ، فلم يسعدنا الحظ ، على الرغم مما اطلعنا عليه هناك من مخطوطات ثمينة ونادرة الوجود ، وأغلبها لعدد غير قليل من آل الجارم فى مختلف الأجيال وقد تضمنهم كتابنا (إقليم البحيرة) .

وعلى ذلك نرى أن (دستور الإعلام) الذى كتبه مؤرخ محدث من تونس وعقب عليه رجال من جنين والبصرة ودمشق ومكة والاسكندرية، ورشيد ، يعد — بحق — من بين كتب التراجم الاسلامية عملا نادرا وفريدا فى نوعه ، وخصوصا إذا تذكرنا العدد القليل من الذيول على كل من (تذكرة الحفاظ) و (العبر فى خبر من غبر) للذهبى المتوفى عام ٧٤٨ للهجرة .

وحبذا لو أخذ (دستور الإعلام) الذى كتبه صاحبه طريقا عاجلا الى المطبعة العربية ، ليزدان به التراث الاسلامى ، وقد يكون فى نشر هذا المقال ما يفتح امامنا باب الأمل فى العثور على الذيل السابع لدستور ابن عزم ، وما قد يكون خافيا علينا من تذييلات لا نعرف عنها شيئا حتى الآن فى ميدان (علم الرجال) .



للدكتور محمد التونجي

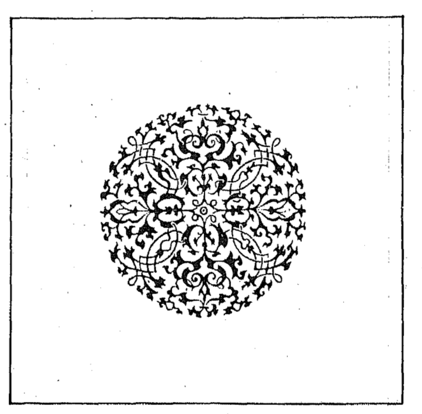
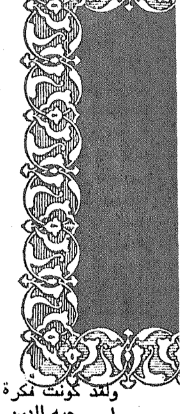
إن موضوعي عن إقبال هو (القضايا العربية) ، في حين ان هدفه الأسمى هو جمع الكلمة الاسلامية ، تحت راية واحدة — دون اعتبار للقوميات — ليتسنى لها ردع مطامع الغرب ، والتغلب على بهرجته وسطوته ، غير معتبر لأية قومية إلا قومية الدين ، اذا جاز لنا هذا التعبير ..

ولكنه نظر الى العرب نظرة تقديس ، لأن محمدا بُعث منهم ، ونظرة غيور لأن الشاعر كان لسان الإعلام للعرب في مشارق الارض ومغاربها . فقد كان يحثهم على الوحدة برباط مقدس أيام السلام ، ويحضهم على الحرب ، بل يخوض معهم وعر الطريق ، ويصرخ في وجه أوروبة صرخات مدوية اذا فكرت احدى الدول الطامعة أن تنال حداً من حدودها ، أو تتطاول على شخص من افرادها .

فكان اقبال إذاً يربط كلمة العرب بالدين ، ويعتقد ان هذا العالم الجديد لا يحسن تصميمه إلا من بنى بالانسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث ابراهيم ومحمدا (عليهما السلام) في قيادة العالم وارشاده . ويهيب بهذا العربي المسلم النائم ، ويناشده الله أن يستيقظ ، ويمسح عن عينيه وحشة النوم ، فقد عاث الأوروبيون في الارض ، وخربوا العالم ، وملأوه ظلما وظلمات وشرورا وويلات . وحول الأوروبيون هذه الارض الى خمّارة ، وبيت فسق ودعارة ، ومكان نهب واغارة . ولقد آن لباني البيت الحرام وحامل رسالة الأسلام أن يصلح ما افسده الغرب ، ويبني العالم من جديد (الندوي ١١١ — ١١٢) .

ولقد شارك العرب اتراحهم مشاركة مباشرة ، بل وجه انظارهم الى قضاياهم بأن وضع أصبعه على الجرح وصرخ ، أو مشاركة بالقلب والأحلام والأماني .. وهذا ما يطلبه العربي المسلم ، أو مشاركة بالدين ، وهذا هو هدفه الأول والاخير .. فاذا صرخ بالعربي عنى انه ينادي المسلم ، وإذا نادى الشرقي فلكي يقف الى جانب العربي ، فالدين عنده لصيق العروبة . وقد عبر عن ذلك بقوله :

انا أعجمي الدن لكن خمرتي	صنع الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم	لكن هذا الصوت من عدنان

ولقد كونت فكرة القضايا العربية عند اقبال عوامل كثيرة ، اهمها :

١ ــ حبه للدين المحمدى العربى . وبسببه سكب عواطفه نحو العرب ، حاملي مشعل الدين الى العالم بعد نبيهم الكريم . وكم كان يتخيل انه يطوف ارجاء الحجاز ، ويتصور انه يركب العيس فى زيارة الرسول ، ويعتبر المدينة المنورة حماه الامين الذى يخلد اليه .. وإذا وصل الى قبره ــ فى حلمه ــ اخذ يشكوه اوضاع العرب والمسلمين .

٢ ــ نظرته المادية الى الغرب ، وايمانه بانسانية الشرق ، والعرب من الشرق .. حملوا مشعل الحرية الى اقصى اسبانية والهند . الا انه يرى الغرب يطغى عليه ، ويمد جبروته على انحاء عديدة من اراضيه .

٣ ــ تعشقه للعربية ، لغة القرآن التى تعلمها منذ نشأته ، كما يتعلمها كل هندى وفارسى وتركى مع القرآن ، ويقدسها لأنها لغة القرآن والدين ، ويقدس كل عربى لأنه حامل لواء التبشير والهداية الى النور الحنيف .

ولقد احب اقبال اللغة العربية ، والشعر القديم منه خاصة ، وكم تحدث عن اعجابه بصدقه وصراحته وواقعيته ، وما يشتمل عليه من معانى البطولة والفروسية والجهاد ، وكثيرا ما كان يستشهد بأبيات الحماسة (الندوى : ٩) . بل إن حبه هذا جعله يعمل على نشر الثقافات والآداب الاسلامية واحياء اللغة العربية وآدابها فى الهند . وهو إذا تكلم عن القوة والأمل فى حديثه عن تربية الذات قال :

بث فكرا صالحا فى الأدب	ارجعن يا صاح نحو العرب
وسليمى العرب يا صاح اعشق	اطلعن صبح الحجاز المشرق

حديثه الى الامة العربية :

كان كلما دعا الى الأمة الاسلامية استنجد بالأمة العربية ، وطالبها أن تتحد وتحمل على عاتقها هذا العبء لكى تنير الطريق كما فعل أسلافهم . ولقد خصص أبدع قصائده لمخاطبة الامة العربية ، ليسجل فيها فضلها وسبقها فى حمل الرسالة ، فيذكرها دوما بماضيها ، سلاحها الماضى .. لتستفيد به فى الحاضر لدرء الأخطار المحيقة ، ويخاطبها بقوله :

« أيتها الأمة العربية ، التي كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، من الذى اكرمه الله بالسبق الي قراءة القرآن ؟ من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادي بأعلي صوته : لا إله إلا الله ؟ وما هى البقعة التي اشـــتعل فيها هذا السراج الذى اضاء به العالم ؟ وهل العلم والحكمة إلا فتات مائدتكم ؟ إن الحرية نشأت فى أحضان محمد ، فقد كان الجسد البشرى بلا قلب وروح ، فوهبه الله القلب والروح ، فحطم "صنم" ، وافاض بعدئذ الحياة على كل غصن ذاو من اغصان العلوم والمدنية وانجب ابطالا وقادة مؤمنين . وما اشتهر العلماء إلا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست الحمراء فى الأندلس ، ولا تاج محل فى اكرا فى الهند إلا صدقة من صدقات بعثة محمد ، ومظهر من مظـــاهر عبقرية أمته .

ويذكر اقبال الأمة العربية عهدها فى الجاهلية حين كان القوم فوضى ، يعيشون كالبهائم ، لا هم لهم إلا السيف والطعام ، إذا بجلبة جحافل المسلمين تجلجل فى الشرق والغرب ، فما أوقع تلك الغزوات .. !

وبعد ان يذكرهم أمجادهم يبدأ بالتقريع وهو سلاحه الثانى مع العرب ، ويسألهم : وماذا أصاب الأمة العربية ؟ لماذا يتوانون عن العلم وقد ســبقهم الركب ؟ ويشدد على الوحدة العربية ، يقول : كنتم أمة واحدة ، فأصبحتم اليوم أمما واحزابا .

ويتألم شديد الألم إذ يراهم قد وضـــعوا ايديهم فى ايدى بعض الدول الغربية ، ويزعجه ان يرى فى الأمة العربية اناسا يحسنون الظن بالغرب ، فهو عارف بهم وبمكائدهم درس علومهم ودرّسهم ، وخبر بذلك خبثهم وضراوتهم على الأمة العربية . ويقول فى ذلك : « مهلا أيها الغـافلون ، اياكم والركون الى الفرنجة ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا الى الفتن الكامنة فى مطاوى ثيابهم . الا إنه لا حيلة لكم إلا ان تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، لقد مزقوا وحدتكم ، واقتسموا تراثكم » .

ثم ينظر الى العرب نظرة النصوح ، فيبهم تجـــاربه ، بأن يحثهم على استرداد روح عمر بن الخطاب والسادة الأطهار ، ويحضهم على التمسك بالرابط المقدس ، الا وهو الدين . ويقول للشباب : « إن العصر الحاضر وليد نشاطكم وكفاحكم ، وصنيع جهادكم ودعوتكم ، وما زلتم ســادته وولاته حتى افلتت زمامه منكم ، فتبناه الغرب وتملكه .. ومنذ ذلك اليوم اصبح هذا المجتمع الانسانى ثائرا على الدين . فيا رجل البادية ، ويا سيد الصحراء ، عد الى قوتك ، وتملك ناصـــية الأيام ، وقد قافلة البشرية الى الغـــاية المثلى » (الندوى ١١٨) .

ويطيل فى مخاطبة امراء العرب ، حتى ضاق صدره ، فعاتبهم بقوله :

هل ينسعد الكافر الهندى منطقه ... مخـــاطبا امراء العرب فى أدب ؟

ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته ومذكراته فعمد الى قصـــيدة صنعها لهذا الغرض ، حيث جعل الأمراء يأتمرون بأوامر ابيهم ابليس ، وابليس هو رمز الغرب ، وأوامره ان يترك الشرق دينه : المسلم والمسيحى والهندوسى . فيخاطبهم بقوله :

عليـــــك بالبرهمـــن فاربكوه	باشراك الســـياسة والحبال
واصــــحاب الزنانير اطردوه	من الدير القديم بالاحتيـــال
وذلكم الصبـــور على الرزايـــا	ومن هو بالمنـــايا لا يبـــالى
فروح محمد منه اســـلبوه	لتعمل فيـــه احداث الليـــالى
بأرض العرب للاســـلام كيدوا	ليسرع فى الحجـــاز الى الزوال

إقبال فى الأندلس :

زار اقبال اسبانية عام ١٩٣٢ ، ودخل جامع قرطبة ، ووقف فيه وقفة مؤمن خاشع وصلى فيه ، ولعله من المسلمين القلائل الذين فعلوا ذلك بعد جلاء المسلمين . وبعد ان ذرف الدموع الحرى ، أخذ يتذكر أن بعضا من جنود المسلمين أتى بهم صقر قريش ، فاستطاع بهم أن يؤسس هذه الأمجاد فى قلب أوروبة . ورأى فى هذا الفن العظيم شخصية المسلم وأخلاقه وصفاته .

ويتذكر ، وهو يطوف فى أرجاء الجامع ، أهله الأدنين الذين شادوه ، والعقيدة التى كانوا يدينون بها ، ودوى بسمعه اذانهم ، إيذانا بنشر العلم فى الشرق والغرب ، فهاجت نفسه ونظم قصيدته المنبعثة من عاطفته نحو العرب خاصة والمسلمين عامة .. فيقول مخاطبا المسجد !

« إن بينى وبينك ، أيها المسجد العظيم ، نسبا من الايمان والحنان » ولكنه يتذكر فجأة أنه هندى ، فما هذا الرابط إذاً ؟ فيعود ليستأنف كلامه :

« انظر أيها المسجد الى هذا الهندى الذى نشأ بعيدا عن مركز الاسلام ومهد العروبة ، الذى ترعرع بين الكفّار وعبّاد الأصنام كيف غمر قلبه الحب والايمان ؟ » .

وفى قصيدة أخرى ، ولا زلنا فى الأندلس ، تثور فى نفسه الذكريات ، فيخطر على باله طارق بن زياد ، فقد كان هذا البطل العظيم احد ملهمى هذا الشاعر ، وخاصة فى خطبته المشهورة « أيها الناس ، اين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » . فنظم قصيدة فى طارق ، الذى آلى على نفسه لينصرن الله فى اسبانية . فقال : لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل ، وسكان الوبر من العرب بنعم فريدة ، علم جديد ، وايمان جديد ، وشعار جديد ، لينشروا النور فى بلاد الظلام .

اعد يا رب الى هذه الأمة المؤمنة الحمية والغضبة ، وها إن الله تعالى استجاب لدعاء طارق ، وانتصر بجيشه على عدوهم ، وأصبحت اسبانية النصرانية الاوروبية الاندلس الاسلامى العربى . وقامت تلك الدولة فى ربوعها قرونا مزهرة ، ولم تضعف الا بفقدهم الروح التى تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التى جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم فى الايمان الذى امتاز به طارق بين قادة الجيوش وفاتحى البلاد .

وما دمنا بدأنا فى تطوافنا مع اقبال وقضاياه العربية بالأندلس ، فلنتابع شعره جغرافيا ، وندخل ليبيا ، فلما نشبت الحرب ضد الطليان جُرحت عواطفه، وهاج خاطره ، وثار على الغرب ، وعلى حضارته بأن نظم قصائد رائعة فى المسلمين عامة وفى العرب خاصة .

من ذلك قصيدته : « شكوى الى الرسول » فقد تصور أنه زار النبى ، وكثيرا ما يفعل ، وساله النبى : ماذا حملت الينا من هدايا يا اقبال ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكننى جئت بهدية ، هى زجاجة يتجلى فيها شرف امتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

قصيدة أخرى له فى هذه الحرب ، قصيدة تعد من روائع الأدب الانسانى العالمى ، فقد بلغه — أو تصور — أن فتاة اسمها (فاطمة بنت عبد الله) من اهل ليبيا لقيت مصرعها عام ١٩١٢ بينما كانت تسقى المجاهدين فى أثناء محاصرة درنة ، فخاطبها ، فقال :

« فاطمة ، انت عزة هذه الامة الكريمة ، انت طهر وبراءة »

« كان من حسن حظك وسعادتك ، أن تسقي المجاهدين في سبيل الله »

« ان جهادك هذا دون سيف او ترس ، حدانا على الشوق للاستشهاد »

« كنت برعما نديا في حديقة الاســـــلام البادية الذبول ، وكنت شرارة نحمد الله ان انبعثت من رمادنا »

« كـــــم من غزال خفي في صـــــــــحرائنا ! »

« كم من بروق كامنة خلف غيومنا السخيـــة ! »

« فاطمة ، إن كانت مآقينا تدمع اسى عليك ، فان عويل مآتمنا يتطوى على نغمة الابتهاج ببطولتك ايضا »

« ما أطرب رقص روحك الطاهرة ! إن كل ذرة من رفاتك مفعمة بلوعة الحياة »

« لحدك الصامت هذا يحمل في جنباته غليانا وثورة ، ولسوف تتربى امة جديدة في حضنك الغالي »

« لست ادرى مدى وسعة اهدافهم (في المستقبل بالنسبة له) ولكنني ابصر انهم سيخلقون من مرقدك هذا »

« نجوم جديدة ستبزغ في السماء ، لا ترى عين المرء امواج تألقها » .

« نجوم ظهرت حديثا من ظلام غياهب الايام ، لا يتقيد ضوؤها بالصباح والمساء »

« نجـــــوم بريقهـــــا قديم وجديد في آن واحد »

« وفيه اشـــــماع نجمك الســــعيد ايضـــــا »

إقبال في مصر :

يحكي لنا الدكتور عزام حكاية تنم عن حب اقبال الشديد للعرب فيهـــا طرافة . فعندما زار جامعة القاهرة بناء على دعوة منها ، يقول عزام : « ذهبت اليه مرة في فندق في حلوان ، فأخرج من حقيبته عمامة وطربوشـــا ، وقال : ارني كيف تكوّر العمامة ؟ ثم قال : أراني اوثر العمامة والجبة ، واشعر حين البسهما اني في زي استاذ ، كما اشعر اني صبيّ حين البس هذه الملابس — واشار الى الملابس الافرنجية التي كان يرتديها » (عزام : ٤٢) .

وعندما اذن الانكليز المحتلون في مصر للناس بحمل السيوف بعد ان حرم حمل جميع الاسلحة ، نظم اقبال قصيدته التي منها :

ايها المســــلم تدرى اليوم ما	قيمـــة الفولاذ والعضب الذكر ؟
هو مصـــــراع من البيت الذى	مضـــــمر فيه من التوحيد سر
وارى مصـــــراعه الثـــــانى فى	سيف فقر تحتـــــويه كف حر
انت يا مسلم — إن تظفر به —	خالد او حيــــدر يوم المـــــكر

وقد استرعى انتباهه جثوم ابي الهول ، رمز العقل والقوة في وســـط الرمال ، فكتب عدة قصائد فيه ، منها :

من ابى الهـــــول اتتنى نكتة	وابو الهـــول طوى السر القـــديم
كم شـــــعوب بدلت ســـــيرتها	قوة لم يجفها العقل الحـــــكيم
طبعهـــــا في كل عصـــــر ماثـــل	يبدل الشكل ويبقى في الصـــــميم
فهى طورا فى حسام المصـــطفى	وهى طورا فى عصا موسى الكليم

ويقول من اخرى ، ويشيد فيها بالانسان وقدرته على الابداع :

شـــادت الفطرة كثبانا لهـــا	فى سكون من يبـــاب قد وقد
روّع الأفلاك فيـــــه هرم	اى كف صـــورت هذا الأبد !
من إســـار الكون حرر صنعة	صائد ذو الفن أصيدا يصـــد ؟

فى صقلية :

كان كلما مر بارض كان للعرب فيها فضل وماض بكاهما وارسل الشعر مع الدمع مدرارا . فقد مر بصقلية فى أثناء عودته الى بلاده عام ١٩٠٨ ، فنظم قصيدة طويلة مطلعها :

« ابك ايها الرجل ادمعا لا دمعا ، فهنا مدفن الحضارة الحجازية »

اقبال وسورية :

عرضت الحكومة الفرنسية على اقبال ان يزور مستعمراتها فى شـمال افريقية ، فابى . وحز فى نفسه أن يدمر الجيش الفرنسى مدينة دمشق ، فأعلن انه لن يدخل الجامع الذى بنى فى باريس وقال : إن بناء هذا المسجد ثمن بخس لتدمير دمشق واحراقها . .

يا ناظرى لا يخـــدعنك فنـــه	للزور هـــذا الحـــرم المغرّب
وليس هـــذا حرما لـــكنه	عند الفــــرنج للغــرام ملعب
قـــد اخفت الافرنج روح موثن	فى صـــورة من حُرم تكذب
إن الذى شـــيد هذا موثنـــا	دمشـــقّ من عدوانه تخرب

ولعل من أروع ابياته فى الشام بيتين يصوران السلم الذى يقدمه العرب ، والدم الذى يهدره الغرب :

اهدت الشـــام إلى الغرب نبيا	هو عف ومواس وصـــبور
ومن الغرب الى الشـــام هدايا	من قمار ونســـاء وخمور

ويقول فى حلب ايام الانتداب :

مرحى لحـــانات الفرنج فقد	ملأت بهن زجاجهـــا حلب

إقبال وفلسطين :

لا تظنوا ان اقبال لم يشارك العرب فى قضية فلســطين ، فمـع انه توفى عام ١٩٣٨ فقد أحس بتحركات اليهود فى الغرب ، ورغبتهم فى احتلال فلسطين ، فاخذ يحذر العرب . وكم كان يؤلمه أن العرب لا يزالون ينظرون الى الاوروبيين والامريكان كاصدقاء مخلصين ، واعوان منجدين ، يحلون لهم مشكلة اللاجئين ، ويردون اليهم ارض فلسطين ــ مستبقا الاحداث طبعا ــ مع أنهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود ، وتحت نفوذهم السياسى والاقتصادى والاعلامى فيقول :

« صدقونى ايها العرب انه لا دواء لكم فى جنيف ولا فى لندن ، الانكم تعلمون ان اليهود لا يزالون يتحكمون فى سياسة أوروبة ، ولا يزالون يملكون زمامها . ان الأمم لا تتذوق طعم الحرية والاستقلال ما لم تربّ فيها الشخصية والاعتماد على النفس » (الندوى : ٧٠) .

لا دواء فى لنــــدن أو جنيــوا   بوريد الفـــرنج كف اليهـــود

ولقد اشترك فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالقدس عام ١٩٣١ . وكان قد جاء من اوروبة يمثل الهند المســـلمة فى هذا المؤتمر . وأخذ يتفقد ارجاء فلسطين ، والأماكن المقدسة فيها والرباع الخضراء الممتدة على مدى البصر . وبعد أن طاف طوفته هذه اتجه نحو الوطن العربى ، فراى ايمانه قد ضعف ، والى العالم الاسلامى فوجد أنه افلس من الايمان والعاطفة . ونظر الى العالم المادى ، وتمنى أن يرى جبارا يغضب للحق ويثور كالليث . وكم رجا أن يكون هذا الثائر من بلد عربى ، ويفاجىء العـــالم بصراحته وصرامته . ونظر الى الحجاز فلم ير ما يدل على وجود هذا الثائر .. فأيقن انه ضـــعف العاطفة والحب . لقد راى ان ابا لهب يحمل راية العصيان ويصـــول ويجول ، فحث العرب على الانضواء تحت راية معسكر الايمان اذا أرادوا لأنفســـهم الوحدة والخير (الندوى : ١٣٥) .

ولقد قدم صفقة رابحة من اجل فلسطين ، وقال : « اذا اراد اليهود اخذ فلسطين ، فليستعد العرب اسبانية من الغرب » :

إن فى فلســـطين اليهـــود زجت   فليـــاخذن اســـبانيا العرب

ويهزأ من أوروبة التى ادعت انها انقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهما فى شر أسر ، من قصيدته (شبكة التمدين) :

فاوروبا نصـــيرة كل شــعب   تشـــكى الدهر من ظلم وضر
كرامات القساوس ان اضـاءوا   سراج الـــكهرباء بكل فــكر
ولـــكن من فلســـطين بقلبى   وللشـــام الكسيرة حر جمر
من الترك الجفاة نجـــوا فلاقوا   فى شراك التمـــدن شر أمر

بعد ان جلنا جولة عجلى فى بعض انحاء الوطن العربى مع الشـــاعر المسلم العظيم محمد اقبال ، فأحسسنا أنه واحد من العرب الغيورين على كل شبر من اراضيه شرقا وغربا . علما أن اقبال لم يكن قومى التفكير ، ولو كان كذلك لما طالب فصل باكستان المسلمة عن الهند ، ولكنه يميل الى دين محمد ، وما دام محمد عربيا ، فليحب ما يحبه العرب ، وليكن احد الجنود الثائرين فى أرضهم ، على أمل وحدة اسلامية متعاطفة وشاملة .

ولعمرى ، لقد وفاه الدكتور عزام حقه ، واعترف له بهذا الجميل ، فنظم فيه وفى ديوانه (ارمغان الحجاز) أبياتا عام ١٩٤٧ كانت لسان حال كل عربى ، وقد حفرت على قبره بالرخام ، أختتم بها حديثى :

عربى يهـــدى لروضـــك زهرا   ذا فخار بروضـــه واعتزاز
كلمـــات تضـــمنت كل معنى   من ديار الاسلام فى ايجـــاز
بلسان القرآن خطت ، ففيهـــا   نفحـات التنزيل والاعجـــاز
فاقبلنهـــا ، على ضـــآلة قدرى   فهى فى الحق (ارمغان حجاز)

مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار فيض

مدخل
لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا

كتاب من تاليف الدكتور محمد بديع شريف يتحدث فيه عن غربة اليهود فى ارض فلسطين وعدم وجود اى حق تاريخي لهم فى هذه المنطقة استنادا الى الأصول التاريخية وسيجد القارئون فى هذا الكتاب ما يحملهم على اعادة النظر فى الآراء السابقة التى ضلل اليهود بها الناس حقبة من الزمن .

والكتاب يحتوى على أحد عشر فصلا تشمل الحركة التاريخية لليهود منذ وجودهم على وجه الأرض وحتى نهاية حربهم مع العرب عام ٦٧ ويقع فى ١٩٥ صفحة ومن نشر معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ـ بالقاهرة .

الدراسات القرآنية المعاصرة

بحث جاء ثمرة قراءة طويلة لعدد من الكتب التى تزخر بها المكتبة الاسلامية فى الدراسات القرآنية المعاصرة ـ لخص أفكارها وأوجز أبحاثها ونقد آراءها الطالب محمد بن عبد العزيز السديس باشراف الشيخ مناع القطان .

واشتمل البحث على أربعة أقسام :

القسم الأول : فى التفسير .

والثانى : فى الفهارس والمعاجم القرآنية

والثالث : فى الدراسات القرآنية العامة

والرابع : فى الدراسات القرآنية الخاصة .

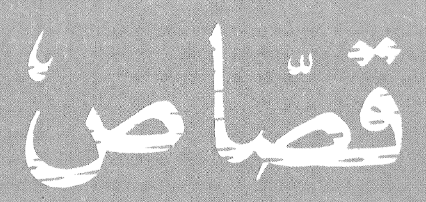
ويقع البحث فى ٦٠٠ صفحة وهو من مطبوعات كلية الشريعة بالرياض ، قسم البحوث الاسلامية .

الحرب فى الاسلام

الكتاب الخامس والأربعون بعد المائة من سلسلة (كتب اسلامية) التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وهو بعنوان : **(الحرب فى الاسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر)** للكاتب القانونى الأستاذ توفيق على وهبة ويتضمن الكتاب الموضوعات الآتية : التعريف بالحرب ـ أسباب الحرب وأهدافها ـ إنسانية الحروب الاسلامية ـ دار الاسلام ودار الحرب ـ صور من الحروب الاسلامية ـ الغنائم ومعاملة اسرى الحرب ـ معاملة المدنيين أثناء الحرب .

هذه بعض جوانب الحرب الاسلامية التى وردت فى الكتاب وأوضحها المؤلف وقارنها بالقانون الدولى العام والوضع الراهن والكتاب يقارب المائة صفحة ومن طبع مطابع الاهرام بالقاهرة .


قصة



للأستاذ سعيد زيـد

اطرق حكيم القرية هنيهة ثم قال للسيدة العجوز : اذهبى الى المامون ، فإنى والله لا اظنه يرضى على هذه الحال ، وإلا لما استحق ان يجلس بين المسلمين مجلس الخليفة ، فإن ابسط ما يتصف به خليفة الله هو بغضه للجور وحبه للعدل وسهره على راحة الرعية .

وفغرت السيدة العجوز فاهها ، وقالت فى دهشة : ولكنى اخبرتـك عن الجانى وعن مدى قرابته لخليفة المسلمين ، او تظن انه ينتصف لي منه ؟

قال : بلى ، وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة . .فإنى لا افهم شيئا اكثر من ان يكون خليفة المسلمين محبا لجميع المسلمين ، ومساويا بينهم في كل شيء . ومقتصا من الظالم مهما علا قدره للمظلوم مهما نزل قدره ، والا لما كان جديرا بالخلافة .

كانت السيدة العجوز تحيا هى واولادها في ضيعة صغيرةاورثها لهم زوجها مع عدد قليل من الإبل والغنم . وكانت حياتهم رتيبة خالية من المتاعب النفسية . يستيقظون كل صباح على اداء الواجب الذى يقوم به كل منهم ، تحلب هى اللبن وتوزعه على اولادها ، ثم ينتشر الاولاد فى الضيعة منهم من يرعى الإبل والغنم ومنهم من يقوم بالزرع ، وتبقى هى فى المنزل كى تعد لهم طعام الغذاء ثم تحمله إليهم فيلتفون جميعا حول المائدة التي تصنعها لهم فى ركن من الأرض الخضراء ياكلون هنيئا ويشربون مريئا ، ويقومون بعد ذلـك للعمل فى ضيعتهم حتى المساء ثم يعودون إلى منزلهم الصغير وياوون الى فراشهم بعد الغذاء كى ينالوا قسطا من الراحة حتى صباح اليوم التالى .

وهكذا كانت السعادة والطمانينة وهناء البال وراحة الضمير ترفرف على هذه الأسرة الصغيرة حتى جاء يوم مر فيه احد الأمراء على هذه الضيعـة فاعجبه حسنها والجمال الذى يبدو من تناسقها فابدى رغبته في شرائها ، ولما رفضت سيدة الأرض ، غضب وامر جنده بطردها هى واولادها والاستيلاء على الأرض عنوة ، ولما ضاقت بها الدنيا ذهبت إلى المامون تعرض شكايتهـا كما نصحها حكيم القرية . .

كان من عادة امير المؤمنين ان يجلس فى بهو فسيح من ابهاء قصر الخلافة ، رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفن العربى ، ووضعت فى صدره إحدى الأرائك تحت لوحة رائعة مكتوب عليها ((العدل اساس الملك)) وفرشت ارضه بابسطة جميلة . وكان الحجاب والحراس بعد تادية صلاة الظهر يقفون متاهبين لشىء خطير . وهل هناك اخطر واروع من رد المظالم إلى اهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك ايضا اخطر واروع من ان يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الامر بنفسه ؟

كان الخليفة المامون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد ان يفرغ من صلاة الفرض يتوجه إلى القبلة مرة ثانية ويصلى ركعتين ثم يرفع يديه إلى السماء ويتمتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن يفرغ من دعائه يخرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ويدخل قصر الخلافة ويتوجه إلى الأريكة ويجلس عليها بعد ان يخلع نعليه . ويسمى باسم الله ، ويقرأ بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم يلتفت إلى وزيره قائلا : ((ما عندك اليوم يا أخى ؟)) وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما يشير الوزير إلى احد الحجاب الذى يسرع بدوره إلى باب فيفتحه فتدخل منه جموع الشاكين والمتظلمين ويجلسون صفوفا متراصة على البسط الممدودة .

منظر رائع ترفرف عليه المهابة والجلال . إن جميع الاعناق مشرئبة لترى امير المؤمنين جالسا فى مكان القاضى وقد اطرق براسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفتاه بكلام الله عز وجل ، ولعبت انامله بمسبحة توحى بالتقوى والورع ، إن كل واحد يهمس فى اذن جاره يساله عن شكايته ويمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لكل من عرض شكواه فى هــذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الراس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

ويرفع الخليفة راسه ، فترتفع خفقات القلوب ، وتتحــرك بعض الاشجان ، وتصحو الآمال فى جنبات المظلومين ، ويرفرف على المكان سكون رهيب ، وتتجه الأنظار جميعها إلى وجهه ، وترهف الأسماع لتعى ما يقول .

ويشير امير المؤمنين الى وزيره إشارة ذات مغزى ، فيناوله الوزير كتاب الله ، فياخذه الخليفة بيده اليمنى ويضعه أمامه ، ثم يضع يده عليه ، ويقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى فى الناس بالحق . فتطرق الرؤوس مهابة وجلالا .. ثم يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو الله بصوت مرتفع ان يلهمه سداد الراى وفصل الخطاب ، فتتجاوب جنبات القاعة مرددة : ((آمين .. آمين .. آمين)) ..

وكان هذا الدعاء ، ايذانا بفتح الجلسة ، فيشير الوزير بعد ذلك إلى الجالس فى أول الصف من جهة اليمين ، فيقف ويسمى باسم الله ثم يبدا بعرض ظلامته ، وبعد ان ينتهى من عرضها ، يشير إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، فيجلس . ويسبح امير المؤمنين فى التفكير برهة قصيرة من الزمن يقلب فيها وجوه الراى ويزن فيها الأمور ، ثم ينطق بالحكم ، فتهدا ثائرة المظلوم وتسكن نفسه ، ويطمئن إلى العدل ، وينظر إلى الحياة نظرة ملؤها الثقة والمحبة ، وينصرف إلى حاله راضيا مبتهجا .

واشار وزير امير المؤمنين بعد ذلك إلى الشاكى الثانى ، فالثالث ، فالرابع ، إلى ان انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام ، واعلن الوزير انتهاء الجلسة .

وبينما هو كذلك إذ دخلت السيدة العجوز وعلى وجههـا آثار التعب والإرهاق ، لا يشك الناظر إليها انها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه رابطة الجاش ثابتة الجنان وقالت : ((السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)) ..

ولم يستغرب خليفة المسلمين ولم تصبه الدهشة ، فقد تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : ((وعليك السلام يا أمة الله . تكلمي بحاجتك)) ! فقالت السيدة :

يا خير منتصف يهدى لـه الرشـد ويا إماما بـه قـد أشرق البلد
تشكو إليك ــ عميد القوم ــ أرملة عـدى عليها فلم يترك لهـا سبد
وابتز منى ضياعى بعـد منعتهـا ظلما وفـرق منى الأهـل والولـد

فاطرق الخليفة لحظة سبحت فيها روحه فى ملكوت الله وهـو يسمع المؤذن يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلا : ((الله أكبر ... حى على الصلاة ، حى على الفلاح ..)) ، ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلا :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلـد عنى وأقـرح منى القلب والكبـد
هـذا اذان صـلاة العصر فانصرفى واحضرى الخصم فى اليوم الذى اعد
فالمجلس السبت ــ إن يقضى الجلوس لنا ننصفك منه ــ وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلى العصر ، وانصرفت السيدة العجوز .

وفى اليوم التالى ، نودى عليها فى أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : ((السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)) . فرد عليها الخليفة قائلا : ((وعليك السلام ورحمة الله وبركاته)) ، ثم سألها قائلا : ((أيـن الخصم ؟)) . فقالت : ((الواقف على رأسك يا امير المؤمنين)) . وأومأت إلى العباس ابنه .

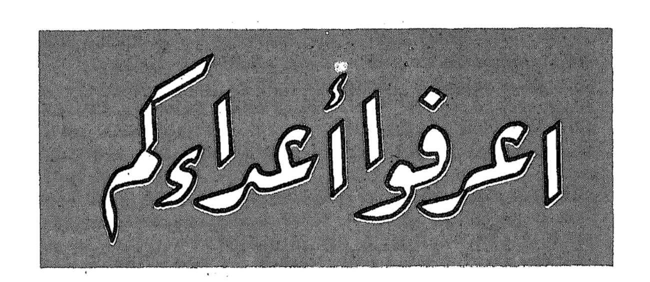
فعقدت الالسنة من الدهشة ، وحملق كل جالس فى جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه وبدت عليها الحيرة ، وذهبت ظنون الناس كل مذهب . ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تاخذه روعة الموقف ، بل أشار فى هدوء إلى احمد بن ابى خالد ، وقال له : ((خذ بيده فاجلسه معهـا مجلس الخصوم)) ..

وسار الأمير إلى جانب ابن خالد تاركا الوقوف بجانب منصة الحكم إلى حيث يجلس المتهمون والمتظلمون مطرق الرأس شاحب الوجه زائغ البصر .

وانطلقت السيدة العجوز تروى قصتها وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس فقال لها احمد بن ابى خالد : ((يا أمة الله ، إنك بين يدى امير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضى من صوتك)) فرد المأمون فى قوة وحزم قائلا : ((دعها يا احمد ، فإن الحق انطقها والباطل أخرسه)) . فاستأنفت روايتها حتى اتمتها .

واطرق الخليفة هنيهة ، وفكر كعادته ، ثم نطق بالحكم قائلا : ((إن الحق بجانبك ايتها السيدة ، لقد قضينا برد ضيعتك إليك ، وسينال خصمك الجزاء الرادع)) . ثم التفت إلى وزيره قائلا : ((اكتب إلى العامل الذى ببلدها ان يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ويصرف لها إعانة مالية)) .

واثلجت قلوب الحاضرين واطمأن كل الى مكانه ، ورفعت السيدة العجوز يديها إلى السماء لتشكر ربها على عدل امير المؤمنين ، وخرجت من عنده وهى تردد قول حكيم القرية : ((.. وإن لم يفعل هذا لما استحق ان يكون خليفة ..))



للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند

قال الله عز وجل (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) يريدون ليطفئوا نور الله هذه إرادة اعــداء الله فى كل عصر وهذا دورهم فى كل زمان وهذا مدار تفكيرهم وتدبيرهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد زمن الرسول وفي ايامنا هذه كل همهم ان يطفئوا نور الله لانهم لا يطيقون ان يروا هذا النور يشع فى كل افق ولا يطيقون ان يسمعوا لا إله الا الله تدوى فى كل اذن ولا يطيقون للاسلام ظلا يمتد ولا لاهله قوة تحميهم ولا لكتابه سلطانا عليهم ولا لدولتهم علما مرفوعا ، وصوتا مسموعا ، وكلمة نافذة ، لا يطيقون ان يروا ذلك لأنهم اعداء الله واعداء الحق واعداء الإسلام واعداء الإنسانية ، ولأنهم كما يقول الله تبارك وتعالى : (لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر) ولأنهم يعلمون ان قوتنا تنبع من ديننا وهو ابغض شيء اليهم ، فهم يحاولون ان يشككونا فيه ، وان يبغضوه الينا ، وان يوهنــوا ما بيننا وبينه من العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، ويعلمون ان كتابنا فيه سر سعادتنا وعزنا اذا اهتدينا بنوره لا نضل ، واذا اعتصمنا بحبله لا نذل ، واذا تزودنا منه كفانا واغنانا وهدانا الى الصراط المستقيم فهم يحاولون ان يزهدونا فيه ، وان يعزلونا عنه لانه فى قلوبنا نور وفى صــدورهم لظى . ويعلمون ان ارضنا خير بقاع الأرض واجمــل بلاد الدنيا ، واشرف مكان فى الأرض ، فيها الكعبة التى تتجه اليها القلوب ، وفيها المسجد الاقصى الذى تشد اليه الرحال ، إنها الأرض التىكلم الله فيها موسى ، وايد فيها عيسى ، واسرى اليها بمحمد صلاة الله وسلامه على جميع رسله وانبيائه ، ولكن من الأسف والحزن ان المسجد الأقصى قد اغتصبه أعــداء الإسلام والإنسانية اليهــود

بمساعدة الصليبيين والملحدين ، إن اعداءنا يريدون ان يمزقوا التاريخ المكتوب يريدون ان يدنسوا الأرض الطاهرة ، يريدون ان يجعلوا من ارضنا دولة يسكنها القتلة السفاحون بجوار الأنبياء الذين قتلوهم بغير حق .

نعم يريدون ذلك واكثر من ذلك ، يريدونك انت الا تقوم لك قائمة ، يريدون لك حياة اشبه بالموت ، يريدون ان تعيش محروما من نعمتك مطرودا من ارضك منبوذا حتى من نفسك ، يريدون ان تعيش بلا دين ، ولا وطن ، ولا اهل ، ولا مال ، ولا أمل ، ولا تاريخ ، ولا حضارة ، يريدون ان يحرموك من نعمة الإيمان بالله تعالى ونعمة الإسلام التى هى اجل النعم ، تستند على العقيدة والدين ، لاعلى التراب والطين .

إن من ضيق النظر وسذاجة التفكير ان نعتقد ان دولة العصابات وحدها هى التى هاجمتنا ، فهى اهون من ذلك بكثير ، فليست إلا ذنب العقرب الذى اودعوا فيه السم وليست إلا القناع البشع الذى واجهنا به الشيطان ، وليست إلا الدخان الأسود الذى دفعته نار الحقد علينا وليست الا الزبد القذر الذى دفعه تيار العداوة والبغضاء على سواحلنا .

وسياتى إن شاء الله اليوم الذى يختاره الله لنبتر فيه الذنب ويسقط فيه القناع ويتبدد فيه الدخان ويذهب فيه الزبد .

إن العدو الاكبر هو الذى امد دولة العصيان بالمال واعانها بالرجال ، واعد لها الخطط ، وجعل منها ترسانة مملوءة باحدث الاسلحة ــ العدو الاكبر هو الذى اعطاهم الغطاء الجوى وقنابل النابالم وصواريخ الجــو واسرارنا العسكرية .

العدو الاكبر مو الذى خدعنا بالحيلة وامدهم بالمخابرات ــ العدو الاكبر هو الذى وقف الى جانبهم بكل قواه بالعتاد الحربى واجهزة الاعلام ــ يجب ان تعرف اعداءك الذين اخرجوك من ديارك وظاهروا على اخراجــك ... اعداؤك هم اعداء الله الذين حذرنا الله منهم ونهانا عنهم . اعداؤكم هم اعداء الإسلام وتجار الحروب وسماسرة الشر وزارعو هذه الفتنة فى بلادنا اعداؤكم هم اعداء الحق وقراصنة العالم الذين سرقوا اوطانكم لتسكن فيها الخنازير واغتصبوا دياركم لتسرح فيها القردة واخذوا اموالكم ليزيدوا غنى ونزيد فقرا ليزيدوا عتوا ونزيد ذلا ليزيدوا رخاء وقوة ونزحف على الركب من الهزال .

فما ترون بعد ذلك يا مسلمين يا عرب .. المسجد الأقصى اغتصبــوه واخوانكم فى الأرض المحتلة يحكمهم الشياطين يذيقونهم سوء العذاب ، ومآذن مساجدنا يطل منها اليوم من شذاذ الآفاق الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة فماذا بعد الحق الا الضلال ، وماذا بعد العزة الا الهوان .

هل ستسلمون بذلك يا اتباع محمد هل ستصبرون على ذلك يا احفاد خالد هل ستقفون عند هذا الحد يا خلفاء الله ويا حفظة كتاب الله ويا حملة لا إله الا الله ام ماذا تنتظرون ؟. لقد جرت سنة الله تعالى فى الكون من قبل رسول الله ومن بعده ان يمنح النصر لمن يتخذ اسبابه من الاستعداد والاعداد ويعمل له حسابه من جميع الوجوه والاحتمالات ولا يترك فرصة لعدوه يعض بعدها بنان الندم .

ومهما كانت اسباب الهزيمة فقد انكشفت لنا حقائق كانت غائبة عنــا وامور كانت لا تخطر لنا ببال ومنافقون مردوا على النفاق لا نعلمهم وصدق الله العظيم حيث يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

أزمة الزواج

بقلم : عبد الرحمن احمد شادى

تظهر ازمة الزواج واضحة جلية لكل ذى عينين .. ويتضرر الشباب من الجنسين بسبب هذه الأزمة وينبغي أن لا نفكر بمنطق النعامة التى تظن أنها ما دامت لا ترى الصياد فهو لا يراها .. والغريب فى الأزمة أنها ليست بسبب قلة الفتيات أو ندرة الرجال وانما بسبب المغالاة فى الهدايا والمهور والمراسيم والتقاليد التى لم ينزل بها من الله سلطان ولا كتاب منير .

تبدأ هذه التقاليد والأعراف بالشبكة التى كانت خفيفة فى أول أمرها ثم تدرجت بها المظاهر والغرور والتقليد الأعمى الى الثقيل ، ويليها الهدايا المختلفة الاشكال والالوان من طعام وشراب وثياب يتحتم على الخاطب أن يقدمها فى الأعياد والمواسم والحفلات والمناسبات السارة ، ولا بد أن تكون غالية الثمن عظيمة القدر والا عرض نفسه للاحتقار والهوان والسخرية .. بل ان بعض البيوت تهزأ من الخاطب الذى يدخل على اصهاره ومخطوبته بيد فارغة ، ويلى هذا المهر بمقدمه ومؤخره .. يراعى فى المقدم ان يكون مناسبا لعدد الغرف التى ستأتى ولأثاث المطبخ وللمؤخر وظيفة أخرى عند بعض الأسر التى تتعنت فى زواجها وشروطها .. تجعله ثقيلا جدا بحيث يبدو كالسيف المسلط فوق رقبة الزوج يقطعها فى اى لحظة اذا اراد ان يتحرر من الدوران فى فلك الزوجة وهى بالتالى تدور فى فلك اهلها ..

ويلى ذلك عقد القران وتصحبه المطاعم والمشارب والولائم والغناء والموسيقى والرقص والزينة والصور والمأذون والكهرباء والثياب الفاخرة له ولزوجته .. والأهل من كلا الجانبين أو من احدهما من أدوات المحافظة والاستمساك بهذه الأعراف الجائرة وهم لا يفرطون فى شيء يسير منها . وان اضطر الأبناء نتيجة لهذا العنت والجمود الى التردى فى الهاوية .. العقوق اذا اصروا على التقيد بهذه التقاليد والعنت عند تأجيل الزواج وتركه أو الانحراف . واحيانا يكون فى نفوس الابناء من الكبر والغرور ما يجعلهم لا يفرطون فى شيء من هذا وفى خيال كل واحد منهم ما فعله اخوه أو قريبه أو زميله فى ليلة العمر التى يهون عندها كل غال ورخيص .. فهو يحب التقليد الأعمى فى المظاهر .. ومنها مسألة الكفاءة والتطلع الى الأعلى .. فهو لا يكتفى بمن تساويه ويظل خمس سنوات أو اكثر لا يجد بنت الحلال التى تضارعه مالا وعملا وكمالا وأصلا وفصلا ومظهرا ومخبرا واهلا وشهادة وخلقا .. والفتاة لا تقنع بالقرين وكل

منهما لا يعرف قدر نفسه ويبالغ فى قيمتها وعلى هذا فمن النادر ان يتفقا والكمال لله وحده واين الاعتراف حينئذ بنقص البشر .

من الشروط ان تكون من بنات الأكابر الذين يفخر بهم واحدا بعد واحد ولا يعاب باى فرد منهم ومستواهم فى الغنى فوق مستواه .. من الشروط ان تكون جميلة تحير الالباب وتفتن القلوب .. من الشروط ان تكون عاقلة لا حمقاء . من الشروط أن تحصل على شهادة تساويه أو تدانيه .. من الشروط أن تكون موظفة تساعده على العيش فى مستوى رفيع .. من الشروط ان تكون عصرية توافقه فى النظر الى الحياة وهو يخاف مع ذلك من العصرية لأن الثقة بها تتذبذب فهو يخشى أن تكون العصرية قد ادت بها الى المخادنة من قبل فى المجتمعات المفتوحة الموبوءة التى تهب عليها ريح الفساد من كل جانب ويخشى ان يراوغها الشيطان فيما بعد .

من الشروط أن تشاركه هواياته المفضلة .. الخ . وفى النهاية تبدو مسألة الكفاءة هذه كأنها مهزلة وربما وصل الى الاربعين وفاته القطار واصبح محلا لاحتقار الفتيات الصغيرات لأنه فى سن آبائهن .. وبلوى الشاب أشد اذا كان قد انحرف وخان غيره فهو لا يثق فى مخلوقة بعد ذلك ويظل قلقا باستمرار يخشى ان يكون جزاؤه بعد الزواج من جنس العمل وربما منعه خوف الخيانة من الاقتران طول عمره وتبدو عنده الأمانة الزوجية والعفة عن الحرام كالأساطير .. فاذا نفذ الشاب من هذه العقبات وتخلص من هذه العقد وجد ازمة المسكن تواجهه . فأين يعيش مع عروسه لا بد أن يحسب حسابا كبيرا لماردين جديدين خلو الرجل وازمة المواصلات اذا اضطر للسكن فى مكان او بلد بعيد عن عمله او عمل زوجته ..

والزواج بهذه الصورة عبء وبلاء فوق طاقة الشبان المساكين حتى وان كان حظهم خيرا من سواهم بحصولهم على اجر عمل فوق المتوسط لأنهم تخرجوا من الجامعات .. هاتوا اكبر الحاسبين ليعلن لنا كم عدد سنوات الانتظار التى يقضيها الشباب من الجنسين على احر من الجمر اذا ظلت هذه الطريقة هى السائدة فى الزواج .

لو كانوا اغنياء عندهم المال الكافى الموجود تحت قبضة اليد فى الخزائن والمصارف وقالوا نحن احرار .. نذكر آية من القرآن ((**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**)) لقلنا حفظتم آية وغابت عنكم آيات اين ذم الترف والاسراف وهو وارد فى كثير من الآيات . وهل يصح للمسلم ان يكون مثله الأعلى فى حياته هو النعيم والمتاع . ولكنهم فقراء يقلدون الاغنياء ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. اوقعتكم هذه الأعراف الجائرة فى كثير من المشكلات والآلام فأين الشجاعة التى تختصر هذه التقاليد والأعراف وأين العودة الى يسر المهور وبساطة المراسيم والاكتفاء بالضروريات من الأثاث والمتاع واين التواضع والتخشن .. هذه الفضائل نضعها على الرف ونتخذها وراءنا ظهريا وان كنا ندعيها باللسان فقط وما لم توضع موضع التنفيذ ونصدق مع الله فى جعلها واقعا ملموسا وشيئا محسوسا فلن تجد مشاكلنا طريقها الى الحل .. اننا

نتخذ اهواءنا آلهة نعبدها من دون الله وما لم ننبذ هذه الأوثان ونعبد الله وحده حقا وصدقا فلن نفلح .

انظروا يا شباب الى جهاز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين عندما كانت تتزوج قرينها الشاب على بن ابى طالب نقلته من طبقات ابن سعد — جزء النساء . .

الفراش جلد كبش ينامان عليه بالليل ويعلفان عليه الناضح بالنهار ، وسادة من ادم حشوها ليف ، قربة ، منخل ، منشفة ، قدح ، رحيان ، جرتان .

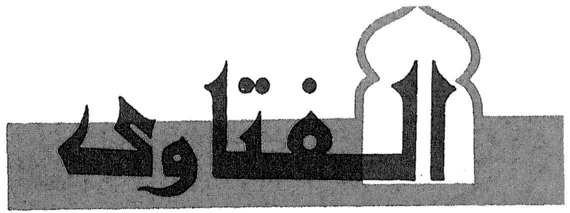
وقد طلبت من ابيها خادما يكفيها مئونة الطحن على الرحى فرفض أن يعطيها الخادم مع انها قطعة منه يريبه ما رابها ويؤذيه ما آذاها وقرة عينه .

وبعد فهذه كلمة العقل والنقل والعلم بفروعه .. الصحة النفسية والجسمية والاجتماع والاقتصاد قد اتحدت فى هذا الموضوع ولم يبق بعد الحق الا الضلال واردد اخيرا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا — وما لزماننا عيب سوانا

نعيب الاسلام والعيب فينا وما للاسلام عيب سوانا ..





قضاء الفوائت

السؤال :

وردت لهذا الباب عدة رسائل ، يذكر فيها اصحابها انهم تركوا الصلاة فترة من الزمن ويستفسرون عن كيفية قضاء هذه الصلوات .. ؟

الاجابة :

يطلب اولا ممن وفقه الله وعزم على قضاء الصلوات التى فاتته ان يحدد المدة الزمنية التى ترك فيها الصلاة .. شهرا او شهرين .. سنة او سنتين او اكثر فان لم يستطع معرفة المدة بالتحديد لجأ الى الأحوط ، فاذا شك هل ترك الصلاة سنة وشهرين او سنة وخمسة اشهر مثلا اخذ بالجانب الاحوط واعتبر المدة سنة وخمسة أشهر .. وبمعرفة المدة يعرف عدد الصلوات الفائتة ، والمطلوب منه بعد هذا أن يؤدى هذه الصلوات ، وهو مخير فى طريقة الاداء بأن يصلى فى وقت فراغه ما اتسع له وقته من الصلوات او أن يقضى فريضة فائتة مع فريضة حاضرة بأن يصلى مثلا فريضة الصبح مما عليه مع فريضة الصبح الحاضرة ، وهكذا وهذه أسهل واضبط كيفية لقضاء الصلوات الفائتة .

الدعاء قبل السلام

السؤال :

ما حكم الدعاء بعد الفراغ من التشهد الاخير وقبل السلام .. ؟ وهل ورد دعاء خاص يلتزمه المصلى .. ؟

الاجابة :

الدعاء مستحب بعد التشهد الأخير وقبل السلام .. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ، ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء .

والدعاء مستحب بالأدعية المأثورة وغير المأثورة ، والأفضل الدعاء بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رويت عنه أدعية كثيرة منها ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من اربع . يقول : اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال .

ومنها ما رواه مسلم عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، انت المقدم وانت المؤخر . لا إله إلا انت .

جمع الصلوات

السؤال :

هل يجوز للمسافر بالطائرة سفرا طويلا يستغرق ٨ ساعات مثلا ان يجمع الصلوات الخمس قبل السفر لانه لا يتمكن من اداء الصلوات فى اوقاتها .. ؟

الاجابة :

لا يجوز جمع الصلوات الخمس مرة واحدة فى السفر ، كما لا يجوز ذلك فى الحضر ، والشارع انما رخص للمسافر سفرا طويلا يبيح القصر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديما او تأخيرا وبين المغرب والعشاء كذلك ، وجمع التقديم افضل لمن كان نازلا فى وقت الأولى ومسافرا فى وقت الثانية وجمع التـاخير افضل فى حالة العكس ، ويرى الشافعية أن جمع التأخير افضـــل اذا كان مسافرا أو نازلا فى وقت الفريضتين ..

ويشترط لصحة جمع التقديم ثلاثة شروط :

الاول : الترتيب بين الفريضتين لأن الوقت للأولى والثانية تابعة لها .

الثاني : نية الجمع بينهما ، ومحلها على الأصح مع الاحرام للأولى .

الثالث : الموالاة بين الصلاتين بدون فصل طويل .

واذا جمع المسافر بين الفريضتين جمع تقديم او جمع تاخير يـكونان اداء لا قضاء .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنت واولاد ابن توفى فى حياته ، فما نصيب كل وارث منهم ، وهل يعطى اولاد الابن ما كان يستحقه ابوهم لو كان حيا ، كمـــا يقضى بذلك قانون الوصية الواجبة .. ؟

الاجابة :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، والباقى لأولاد الابن المذكور تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين . وقانون الوصية الواجبة المعمول به فى بعض الدول الاسلامية لا يطبق فى هذه الحالة لانه انما يطبق بالنســـبة للفرع غير الوارث ، والفرع هنا وارث .

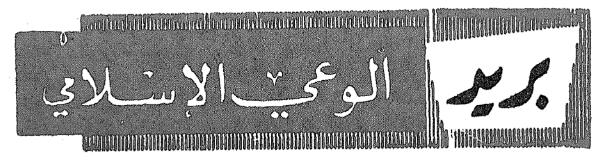
المصحف ..

السؤال :

اوصى والدى قبل وفاته بان يوضع فى كفنه المصحف الشريف ويدفن معه تبركا به ، وعند الوفاة اعترض احد العلمـــاء على هذا العمل وطالبنا برفع المصحف ، وقد نفذنا كلامه وخالفنا وصية الوالد رحمه الله .. فما حكم الشرع فى وضع المصحف مع الميت فى القبر .. ؟

الاجابة :

يجب تعظيم المصحف واحترامه وصـــيانته من كل دنس وقذر ، وهذا باجماع المسلمين .. ومن المعلوم ان جسم الميت يتحلل بعد الدفن ويخرج منه صديد وقيح وسوائل نجسة ، فاذا وضع المصحف معه تصيبه هـذه الاقذار ، وذلك محرم شرعا ، ويحرم تنفيذ هذه الوصية ، وقد أحسنتم صنعا بالاستجابة لرأى من أفتاكم بهذا .



هندســـة الكون

استمعت الى محاضرة موضوعها (الآيات الكونية) وكان المحاضر احد رجال الفكر المرموقين ووصف المحاضر الخالق تبارك وتعالى بانه مهندس الكون الأعظم واعترض على هذا الوصف احد المستمعين ، وقال بانه لا يجوز ان يوصف الله إلا بما سمى أو وصف به نفســه ، ولم يرد فى أسماء الله الحسنى هــذا الوصف ، ولم يلق هذا الاعتراض قبولا لدى بعض المستمعين ، ودارت مناقشة حادة حول هذا الموضوع ، فما رايكم ؟.

محمد بومدين ـ ليبيـا

* * *

إذا نظر الإنسان الى هذا الكون ، وما فيه من بدائع الخلق ودقيق الصنع آمن بأن لهذا الكون خالقا عظيما قادرا فوق ما يتصور العقل البشرى ، وانه جلّ جلاله متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، وقد تعرف الله سبحانه الى عباده باسماء وصفات تليق بجلاله وهى اسماء الله الحسنى البالغ عددها تسعة وتسعين اسما ، وقد أرشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليس فى هــذه الأسماء (مهندس الكون) وجمهور المسلمين على انه لا يصح أن يطلق على الله تبارك وتعالى اسم أو وصف لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى ، وإن كان يشعر بالكمال ، فلا يصح أن يقال مهندس الكون أو مصمم الكون ، ولا أن نقول المدير العام للخلق ، ولكن ان جاءت هذه النعوت بقصد بيان عظمتــه سبحانه وتقريبا للافهام والعقول فلا بأس والأفضل الادب مع الله تعالى بالتزام ما ورد فى ذلك واسماء الله الحسنى ، كما جاء فى رواية الترمذى هى :

هو الله الذى لا إله هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الســلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبــار ، المتكبر ، الخــالق ، البارىء المصــور ، الغفار ، القهار ، الوهــاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباســط ، الخــافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الســميع ، البصير ، الحكم ، العــدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفــور ، الشــكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواســع ،

الحكيم ، الودود ، المجيــد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيــل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميــد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجــد ، الواحــد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقــدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

الحــق واحـــــد

هل كل مجتهد مصيب اولا ؟

وهل الحق واحد او متعـــدد ؟

ع٠م٠ — البحــرين

* * *

يرى علماء الاصول ان المسائل الفقهية اما أن يكون فيها نص من كتاب الله أو حديث نبوى صحيح ، وحينئذ يجب اتبــاع النص ، ولا يصـــح الاجتهاد مع وجـــود النص .

واما الا يكون فيها نص كهذا ، وهنا موضع الاختلاف بين العلماء والذى ارتضاه العلماء من الآراء المختلفة ان الحق واحد غير متعدد ، وعلى هـــذا يكون المصيب من المجتهدين واحدا فقط ، لكن هذا المصيب لا يمكن تعيينه ، ومن اخطأ من المجتهدين له اجر واحد نظير ما بذل من مجهود ، ومن اصاب منهم فله اجران . قال رسول الله صلىالله عليه وسلم (**اذا اجتهد الحاكم واصاب فله أجران ، وان اخطا فله اجر واحد**) .

وكل مجتهد يعمل بما وصل اليه اجتهاده ، وغلب عليه ظنه ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .



قرات مقال الأستاذ على الطنطاوى فى مجلتكم الفراء بالعدد (١٠٠) يقول فيه :

« نحن يا اولادى لم يبق فينا امل نحن الشيوخ (اعنى بالسن) نحن جيل الضياع جيل الهزيمة نحن اضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى اعناقكم انتم والحمل على عواتقكم فلا تكونوا مثلنا » .

هذه كلمة صريحة مدوية صرخت فى قلبى فأصابت لب الحقيقة والواقع وكم نحن نخفى على الشباب عوراتنا ونتظاهر بالغرور والكبرياء أمامهم حتى لا تبدو نقائصنا لهم . ومع ذلك فلا اظن الحياة تساعدنا على هذه الغطرسة . فاننا مع مزيد الأسف نصب الكوارث على أمتنا من تفريطنا وتجاهلنا هذه الحقيقة ، إننا نغمض اعيننا ، ونأبى كل الاباء فى عصبية حادة أن نصارح الشباب بمثل هذه الصراحة للاستاذ الطنطاوى .

وكم من الشباب يكتب من حرقات قلبه ومن نزيف جراحاته . يكتب وهو يشعر بالضغط الكبير على طموحه وآلامه لأمته ووطنه ودينه . فاذا القى ما يكتب لأى صحيفة اسلامية يظن انها ستروى ظمأه وتشفى غليله .. فاذا بالمحرر يلقى بها فى سلة المهملات ولا يتلقى حتى كلمة الشكر والاعتذار! لانها ليست من كبار الكتاب المشهورين والدكاترة الاكاديميين . الذين يجمعون ما تناثر هنا وهناك ليكتبوا موضوعا يشم من سطوره التكلف وبرود العاطفة . وكأنهم يلقون احجارا فى بئر خرب .

والصحف الاسلامية اليوم تتمتع بجمال الورق وفن الطباعة ومع ذلك لا تجد لدى الشباب رغبة فى قراءتها والاقبال عليها . لأن المجلة فى واد والحياة المعاصرة فى واد آخر . والسبب الكتاب (الشيوخ) الذين يكتبون فى أبراج عاجية . أما الشباب الذين يحترقون من لهيب الانحراف وفساد الآراء فلأنهم شباب يسيرون فى طريق الاصلاح لا الى طريق الشهرة يكون مصيرهم الاهمال ونكران الجميل .

فليس المهم أن تخرج مجلة إسلامية تزاحم السوق وتكدس على الأرصفة بل المهم ان تكون وابلا شافيا للأرواح العطشى وهادية من حيرتها وضلالها فى خضم الحياة الزاخم فى الفكر الوافد .

الشيخ محمد عبد الغنى ابو شرف

اهمية الوقت فى الاسلام

لا نجد دينا من الأديان اهتم بالوقت وقيمته كالاسلام ، فالأمم لا تنهض الا إذا استفادت بالوقت واستثمرته ، فعندما يشعر كل فرد بقيمة الوقت ويقضيه عملا وانتاجا وعبادة تنهض الأمة ماديا وروحيا ويسعد أفرادها ، أما إذا انصرف الأفراد الى اللهو والمجون وبعثروا أوقاتهم على المقاهى

والاندية دون عمل او انتاج فان ذلك يصيب الأمة بالضياع والتأخر .

ولقد تعدد ذكر الكلمات التي نستخدمها في قياس الوقت كساعة ويوم وشهر وقرن مئات المرات في القرآن الكريم وفي احاديث الرسول عليه السلام حتى نشعر بقيمة الوقت ونحس به فنمضيه على أحسن وجه يرضي الله . فلقد ورد ذكر الساعة بمعنى الزمن ويوم القيامة نحو تسع واربعين مرة وورد ذكر اليوم ومشتقاته أربعمائة وست وثمانين مرة أما الشهر والشهور فقد ورد ذكرها احدى وعشرين مرة ، والقرن والقرون تسع عشرة مرة . وهناك سور من القرآن سميت بأسماء أوقات معينة مثل « سورة الفجر — سورة الليل — سورة الضحى — سورة العصر » .

وهذه اشارات من الله سبحانه وتعالى لنا بأهمية الوقت ، وكذلك الصلاة تدرب الانسان على الاحساس بالوقت وقيمته . قال تعالى :« **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » . أي فرضا في أوقات محددة . وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الأوقات فقال الحق تبارك وتعالى : « **واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل** » وطرفي النهار الفجر والعصر « وزلفا من الليل » . صلاة المغرب والعشاء .

وإذا كانت الصلاة ترتبط بأوقات محددة ، فان الصوم والحج كذلك يرتبطان بشهور وأوقات محددة . ولا شك أن ذلك الأمر ينمي الاحساس باهمية الوقت في نفوس المسلمين فيعملون على استغلاله احسن استغلال لأن الوقت الذي ينقضي لا يمكن استرجاعه أما المال فيأتي ويذهب وكذلك الصحة تذهب وتعود.

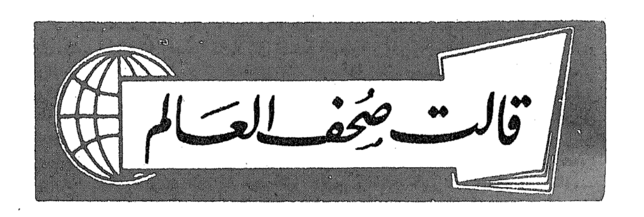
ومما يروى عن احساس المسلمين الأوائل بقيمة الوقت ما دار بين الحجاج بن يوسف الثقفي واعرابي ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان في طريقه بين مكة والمدينة فنزل ببعض المياه وقال لرفيق معه اذهب وتحر من يأكل معي ، فاذا براع نائم فأيقظه رفيق الحجاج وقال له : قم فالأمير يطلبك . ولما مثل بين يدي الحجاج قال له : اغسل يدك وتغد معي يا اعرابي .

فقال الأعرابي : دعاني من هو خير منك فأجبته ؟ قال الحجاج وهو غاضب : ومن يكون ذلك الذي تعنيه بالأفضلية ؟ فقال الاعرابي : الله تعالى دعاني الى الصيام فأجبته ، قال الحجاج : وفي هذا الحر الشديد ؟ فقال الأعرابي : صمت ليوم اشد حرا منه . فقال الحجاج : افطر وصم غدا . فقال الأعرابي وهل تضمن لي البقاء الى غد ؟ قال الحجاج ليس ذلك في قدرتي . فقال الأعرابي : كيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟

ويروى كذلك أن الحسن البصري شهد جنازة فقال لصاحبه وهو يتحدث معه اترى لو رجع الميت للدنيا لعمل صالحا ؟ فقال صاحبه : نعم نعم . فقال الحسن البصري : فان لم يكن هو فكن انت .

إن عقيدتنا الاسلامية تؤكد لنا وتنمي فينا الاحساس بالوقت وأن ما يمضي منه لن يعود وأن آجالنا في نقصان دائم فيبادر المسلم بمحاسبة نفسه ويدرك أن الدنيا فانية ، فلا يطمئن اليها فيأخذ من دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر لأنه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

محمد محمود احمد محمدين



العناية بالشباب المغترب

العناية بالشباب المغترب ، الشباب الذى يدرس الآن فى بلدان أمريكا واوروبا ليتولى — غدا — مقاليد الحكم ، ومناصب القيادة ويشغل المراكز الحساسة فى العالم الاسلامى ، فهو أمانة كبيرة فى أعناقنا وخزان ماء كبير نستطيع أن نحوله باستعمال بعض الذكاء وبعض الوسائل وبعض الاخلاص والجهد والعمل الى طاقة مولدة للكهرباء تنير العالم الاسلامى كله فى اقرب مدة يتصورها العقل ان شاء الله .

ويجب لذلك كخطوة اولى تنظيم لقاءات بين الشباب المؤمن فى عواصم الالحاد والفساد وبين شباب مؤمن فى مختلف اقطار العالم الاسلامى على ان تكون هذه اللقاءات بصفة شعبية واخوية اكثر من رسمية أو شكلية فذلك انفع فى التعارف واللقاء وأجلب للخير ، والقاء محاضرات اسلامية تساعدهم وتقويهم على مواجهة تحديات بلادهم بلاد الفاحشة والاغراء والتلف والضياع ، وتبديد الطاقات والقوى ، ونحن نحتاج فى ذلك الى الاستعانة بسلاح الايمان قبل سلاح العلم وبسلاح الحب قبل سلاح المنطق والبرهان .

تزويد الشباب المسلم فى كل مكان بمكتبة اسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الاسلاميين المعروفين تعيد الثقة الى نفسه وتنشيء فيه الاعتزاز بدينه ، وتحدث فيه الكراهية للكفر بجميع الوانه وأساليبه ، وأشكاله وصوره ، ومقت الجاهلية بأى قميص تقمصت ، وبأى لغة تكلمت .

انشاء بيوت للسكنى والاقامة لهؤلاء الشباب فى مختلف العواصم الغربية تحتوى على مسجد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات . والندوات واللقاءات على أن تكون هذه الدور مزودة بوسائل وادوات تغذى العقل والقلب وتقوى الجسم والروح ، وتربى الشباب على الطاعة والايمان والحب ، وكراهية الكفر والفساد ، وبالاختصار على الحب فى الله ، والبغض فى الله ، فهذه الدور ستكون ان شاء الله بمثابة قلاع متينة للاسلام يأوى اليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله ، وهدفه فى هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته فى خريطة العالم ، ودوره المنتظر الرائع فى العالم الاسلامى .

انشاء مساكن للطلبة فى هذه البلاد لا يعنى مجرد بيوت مخصصة للايجار بل يجب اعدادها اعدادا كاملا من ناحية الدعوة والتربية والتوجيه والأخلاق والسلوك ولذلك اقترح ان تحتوى تلك المساكن على مسجد لأداء الصلوات ، وقاعة للمحاضرات والندوات ومكتبة للدراسات والمطالعات وملعب صغير للرياضة البدنية وبقالة تعاونية للحصول على الأكل الحلال والطيبات من الرزق يعود ربحها على هذه المساكن ، ويكون كل ذلك تحت اشراف دعاة ومربين ومشرفين اجتماعيين يسوقون الشباب الى أهدافهم الاسلامية فى صمت وهدوء وحكمة وفقه ، ومن غير تشديد كثير عليهم وضغط كبير على عقولهم وقلوبهم وميولهم . ويجب على هؤلاء الدعاة والمشرفين ان يكونوا جامعين بين العلم والايمان والنظرية والتطبيق ، وان يحاولوا اثارة الغيرة والحمية ومقت الجاهلية بجميع أنواعها والحرص على انقاذ الانسانية من هلاكها وشقائها ويعلمون أبناءهم أن أوروبا جرت وبالا على الانسانية وأن العالم خسر خسائر فادحة لا تعوض فى عهد استيلائها على العالم واحتلالها الشعوب والأمم .

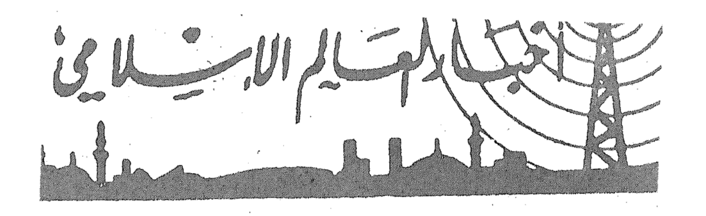
ان انشاء مثل هذه المبانى والمساكن الطلابية فى مختلف المدن الغربية الكبيرة يكلف نفقات هائلة ما فى ذلك من شك ولكن يجب على الحكومات الاسلامية ان تتحمل هذه النفقات لأول مرة نظرا الى تلك الفوائد الكثيرة المرجوة ، ثم تكتفى هذه المساكن بنفسها ، وتنفق على ترميمها واصلاحها وتوسعتها بالايجار ودخل الجمعيات التعاونية .

هذا اقتراح خطير عملى نقدمه الى المسئولين وحكام المسلمين فى البلاد العربية والاسلامية ليتأملوا فيه فان جهد خمس او عشر سنين على هذا المنوال وبتصميم وعزم قد يغير مجرى الاحداث فى هذه المنطقة ويحدث فيها تحولا مباركا لا يتأتى بمجهود عقود من السنين بطرق اصلاحية اخرى ما دامت الطبقة الحاكمة التى تنتجها (مصانع الغرب) (متغربة متفرنجة) منسلخة عن شخصيتها ودعوتها ورسالتها .

ان التركيز على هذه الناحية المهمة يفيدنا فى كافة المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية والفنية ، فالى جانب وجود شباب مسلم على راس هذه الدوائر والمصالح فانه ينفع الحكومات الاسلامية من ناحية الكفاءات والمؤهلات الفنية أيضا . .



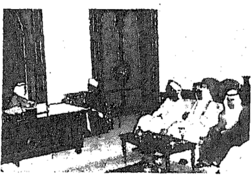
* من مجلة البعث الهندية .



اعداد : فهمى الامام









الكـــويت :

● احتفلت الكلية العسكرية بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط ، وقد شمل سمو الامير المعظم الحفل برعايته السامية .

● احتفلت كليـــة الشرطة بتخـريج الدفعة الثالثة من الطلبة الضباط ، تحت رعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● زار البلاد فى الشهر الماضى وفد رابطة العالم الاسلامى بريـاســـة الشيخ حسنين محمد مخلوف ضـمن جولة فى عدد من البلدان الاسلامية . وقد استقبله سمو امير البلاد المعظم بمكتبه بقصر السيف العامر .

● قام سمادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة بجولة فى الشـــهر الماضى فى منطقـــة الخليج العـربى اسفرت عن نتائج قيمة من أجل تحقيق التعاون واقامة سد منيع فى وجـــه الأطماع الأجنبية فى المنطقة .

● اقيم فى الشهر الماضى احتفــالٌ بتخريج الكتيبة السادسة من الحرس الوطنى .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول فى دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح للصف الأول الصباحى ٦٥٪ والمســائى ٧٧٪ وللصــف الثـانى الصباحى ٨٣٪ والمسائى ٨٠٪ .

● افتتحت جمعية الاصلاح الاجتماعى ١٥ مركزا للبنين ، و ٥ مراكز للبنات لتحفيظ القرآن الكريم مع دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه . وذلك فى العطلة الصيفية .

● تلقت المجلة دعوة من سفارة الجمهورية العربية الليبية لايفاد مندوب لحضور مؤتمر الشباب الاسلامى العالمى الذى يعقد فى طرابلس خلال المدة من ٢ ــ ١٢ يوليو الحالى .

القاهرة :

● قام الرئيس أنور السادات بزيارة لليبيا لاجراء محادثات مع الرئيس الليبى معمر القذافى ولحضور الاحتفالات التى اقيمت هناك بمناسبة الذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية من ليبيا .

السعودية :

● زار جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى كلا من المغرب وايطاليا والجزائر وتونس . . ودار البحث فى هذه الزيارة حول مشكلة الشرق الأوسط وتوثيق الصلات بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول .

● سترسل السعودية عددا من المدرسين لتدريس اللغة العربية والتربية الاسلامية فى بعض الأقطار الافريقية مثل نيجيريا وموريتانيا وساحل العاج .

● أعلن تنكو عبد الرحمن انه سيسافر الى كوالالمبور فى شهر اغسطس القادم للاشتراك فى مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية الخمس التى وافقت على مشروع انشاء بنك اسلامى . والدول الخمس هى : السعودية ، وقطر ، والبحرين ، وليبيا ، ودولة الامارات العربية المتحدة .

ليبيا :

احتفلت ليبيا بالذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن أراضيها .

ابو ظبى :

دعت امارة أبو ظبى الى اتخاذ اجراء عربى موحد ضد كتاب نشر فى بريطانيا يتضمن صورة للنبى محمد (ص) مع الملاك جبريل .

● قال سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ــ ان الوحدة العربية هى طريق النصر وما اليأس الذى تعيشه أمتنا الا نتيجة للفرقة الموجودة .

سوريا :

وصلت سوريا بطريق البحر القوات المغربية ونزلت فى اللاذقية وكان جلالة الملك الحسن قد أمر بارسال هذه القوات لتساند القوات السورية فى المعركة ضد اسرائيل .

الاردن :

لفتت وزارة الخارجية الأردنية انظار الدبلوماسيين فى سفارتها فى الخارج الى نشرة سياحية وزعتها اسرائيل تتضمن صورة للقدس وقد قام فيها الهيكل على انقاض المسجد الاقصى .

فلسطين :

مضت ست سنوات على عدوان حزيران ١٩٦٧ وما زالت الأراضى العربية تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى . فمتى الخلاص . . ؟

اخبار متفرقة

كوريا الجنوبية :

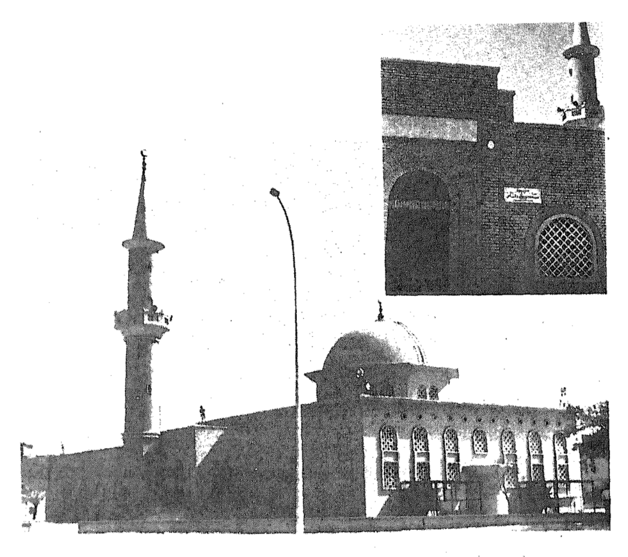
● تبرع رئيس الجمهورية لمسلمى كوريا بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع فى وسط مدينة (سيول) وذلك لبناء مسجد عليها .

اليابان :

● تم ترجمة وطبع القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وقد ساعدت فى هذه المهمة رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع الجالية المسلمة اليابانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الثانية ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الأحد	١	١	٣ ٥	٤ ٥١	١١ ٥١	٣ ٢٥	٦ ٥١	٨ ٢٤	٨ ١٤	١٠ ..	٥ ..	٨ ٣٤	١ ٣٣
الاثنين	٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الأربعاء	٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الأحد	٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الأربعاء	١١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الخميس	١٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
الجمعة	١٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
السبت	١٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الأحد	١٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاثنين	١٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	١٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الأربعاء	١٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الخميس	١٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٠	٢٠	١٧	٥ ..	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢١	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الأحد	٢٢	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاثنين	٢٣	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٤	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الأربعاء	٢٥	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الخميس	٢٦	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الجمعة	٢٧	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٨	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الأحد	٢٩	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨



مسجد سعد بن ابى وقاص
كويت ــ كيفان

اســــمه : سعد بن ابي وقاص مالك بن أهيب بن عبد منـــاف القرشى الزهرى . أبو اسحاق : الصحابى الأمير .

مولـــده : ولد فى سنة (٢٣) قبل الهجرة ــ ٦٠٣ م .

اســلامه : أسلم وهو ابن (١٧) سنة . . وشهد بدرا ، وافتتح القادسية .

فتــوحاته : فتح العراق ، ومدائن كسرى ، وهو أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، واول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، يقال له فارس الاسلام .

ولايتـــه : نزل الكوفة فابتنى فيها دارا فكثرت الدور فيهـــا وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب . واقره عثمان زمنا ثم عزله فعاد الى المدينة فاقام قليلا وفقد بصره .

صـــفته : قالوا فى وصفه : « كان قصـــيرا دحداحا ذا هامة ، شثن الأصابع ، جعد الشعر » .

روايته للحديث : له فى الصحيحين (٢٧١) حديثا .

وفـــاته : مات رضى الله عنه فى قصره بالعقيق (على عشرة اميال من المدينة) وحمل اليها .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الأعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت